

**من ديوان
عباس الجراري**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من ديوان عباس الجراري

الجزء الثاني

المساجلات

إعداد وتقديم

محمد احميدة

من ديوان عباس الجراري

إعداد وتقديم : محمد احميدة

الإيداع القانوني: 2017MO5132

ردمك: 1-51-893-9981-978

الطبعة الأولى: 2017

منشورات النادي الجراري رقم : 77

الطباعة والإخراج الفني

دار أبي رقراق للطباعة والنشر

10 شارع العلويين رقم 3، حسان - الرباط

الهاتف : 05 37 20 75 83 - الفاكس : 05 37 20 75 89

E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com





عباس الجارري ومحمد احميدة في حفل تقديم كتاب «زهرة الأس في فضائل العباس» الذي يضم أبحاثا مهداة إلى عميد الأدب المغربي في عيد ميلاده الستين، مدرج الشريف الإدريسي، كلية الآداب بالرباط، السبت 15 فبراير 1997



تقديم

ويسألونك عن المساجلة....

محمد احميدة(*)

هناك من ينظر إلى المساجلات الشعرية نظرة إقصائية، فيطرح هذه الكتابة خارج دائرة الشعر، فهي عند البعض لا تتجاوز عتبة النظم، هي صب للكلمات في قالب تفعيلي، استعير من إيقاع الخليل، يبغيه بعضهم طويلاً، وآخرون وافرأ أو خفيفاً، وتمده طائفة ثالثة مدأً، وتركب أخرى صابراً دُكر في كتاب الله يحمل أسفاراً.

قال صاحبي: متى كانت المساجلات شعراً؟ وأين ماء الشعر فيما سطر في هذا الباب؟ وأضاف: الشعر هو ما لا تستطيع أن تقوله نثراً! الشعر غامض كالماس! الشعر تخييل!

واسترسل في سرد تعاريف مستقاة من ديار شرقية وغربية، ومتلقفة من أفواه حداثيين مبدعين ونقاداً.

قلت: إذا كان الأمر كذلك، كيف نفسّر استمرار هذا النمط من الكتابة في أدبنا عبر فترة زمنية تمتد قروناً ومارسها كبار شعراء العربية؟

إن المساجلات الشعرية تضرب إلى الأعماق في التاريخ الشعري العربي، عرفناها عند شعراء من العصور الأدبية الأولى، وما تزال مستمرة في تاريخنا الإبداعي إلى اليوم.

(*) أستاذ بكلية الآداب، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، تقاعد سنة 2013.

لو لم يكن هذا النمط من الكتابة يحمل في طيه ما يضمن هذه الاستمرارية، لانقرض منذ قرون؟ إننا إذا حاولنا جمع ما قيل في باب المساجلات الشعرية من خلال مصادرها، لوجدنا أنفسنا أمام تراث شعري ضخم تتباين مستوياته الفنية، إنه يشكل خزناً لجزء من تاريخ أمتنا العربية الإسلامية، من زوايا متعددة، سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، لغوية إلى جانب كونه يمثل تنوعاً للكتابة الشعرية العربية.

وهذا تكتسب المساجلة الشعرية شرعية الوجود، ولو حصرنا مبرر هذه الشرعية فيما أشرنا إليه.

أبسط هذا الكلام كفرش لما أبغى الحديث عنه في هذا التقديم الذي يرتبط أساساً بمساجلات الشاعر عباس الجراري، الذي خصص الجزء الثاني من ديوانه لهذا النمط من القول الشعري.

ما كتبه الشاعر الجراري في باب المساجلات، لم يكن سوى استمرار لتقليد شعري حافظ عليه شعراء العربية منذ القديم، ولم يكن المغاربة بعيدين عنه، فجاءت دواوين شعرائهم ومجاميعهم الشعرية مليئة به، واستمر الأمر كذلك مع المعاصرين منهم. وقد سجل ديوان العرب اهتمام الشعراء بالمساجلة، عبر العصور المختلفة، وسنجد خلال هذا التاريخ، بعض الخلفاء والساسة، ممن توفرت لديهم القريحة الأدبية، فشاركوا بمساجلاتهم الشعرية، وانخرطوا في محاوره بعض شعراء عصرهم. يكفي أن نشير في هذا الصدد إلى ما كتب عن الخليفة العباسي هارون الرشيد، - الذي قورن بلاطه ببلاط لويس الرابع عشر - وضم نخبة من الساسة إلى جانب نخبة من الأدباء والشعراء وعلماء اللغة، حيث وثقت بعض الدراسات الجامعية اهتمام هذا الخليفة بالمساجلات الشعرية، التي كان يشارك بنفسه في إذكاء

روحها بين الشعراء، داخل مجالسه الأدبية⁽¹⁾. أما إذا انتقلنا إلى المرحلة الحديثة، فتكفي الإشارة إلى ملك آخر كان له ولع بالمساجلات الشعرية، حيث يسجل تاريخ الأدب العربي ذلك الشغف بهذا النمط من الكتابة، الذي عرف به الملك الأردني عبد الله الأول بن الحسين، مؤسس الدولة الأردنية الهاشمية⁽²⁾؛ دون أن ننسى ما تحظى به المساجلات من اهتمام في الأندلس الأدبية في المشرق العربي، وديوانيات بلدان الخليج، ما يتردد صدها اليوم في الحياة الأدبية لهذه الأقطار.

أما في المغرب فالمساجلات الشعرية تقليد أصيل، حافظ عليه الشعراء المغاربة، ونظموا فيه منذ القديم. وإذا قصرنا الكلام على المرحلة الحديثة، فإن شعراء أمثال: أحمد بن المامون البلغيثي، محمد بوجندار، عبد الله القباج، محمد البيضاوي الشنقيطي، عبد الله الجراري، أبو بكر بناني، محمد الجزولي، عبد الرحمان ججي، محمد بن إبراهيم (شاعر الحمراء)، علال الفاسي، الحسن البونعماني، شكلت المساجلة جزءاً من إنتاجهم الشعري.

واستمرت المساجلات الشعرية ممارسة من طرف الشعراء المغاربة المعاصرين، وربما كان الشاعر علي الصقلي، من أبرز هؤلاء الشعراء المغاربة الذين لهم باع طويل في هذا الباب، وسنجد في الآونة الأخيرة يعمل على جمع أضمومة من تلك المساجلات التي جرت بينه وبين الشاعر محمد الحلوي، ضمّتها مصنفًا حمل عنوان «بين صديقين: محمد الحلوي وعلي الصقلي»⁽³⁾. وتجدد الإشارة

(1) أنظر كتاب «الحركة الأدبية في مجالس هارون الرشيد»، 170-190هـ للدكتور محمود بن سعود بن عبد العزيز الحليبي، ط، 1، 2008.

(2) يمكن الإطلاع على نماذج من مساجلاته ضمن كتاب «المساجلات الشعرية للملك عبد الله الأول بن الحسين» للباحث خلف نوافله، وكذا في كتاب شعر عبد المنعم الرفاعي جمع وتحقيق د. إبراهيم الكوفحي.

(3) صدر سنة 2014.

إلى أن المجالس الأدبية، كانت فضاء يشجع على هذا الحوار بين الشعراء الذين تجمعهم تلك المجالس، ويقدم لنا «كتاب المجالس الأدبية»⁽¹⁾ لعبد الله الجارري، صورة لما تبادل به بعض الشعراء فيما بينهم من مساجلات، حيث سجل مؤلف هذا الكتاب مجموعة من هذه الأشعار التي تناولت موضوعات مختلفة.

والمجموع الشعري لعباس الجارري الذي وقفنا عليه، احتلت فيه المساجلة قسماً غير يسير، لدرجة أن الشاعر خصص هذا الجزء الثاني برمته لهذا النمط من القول الشعري. وإذا بحثنا عن العوامل التي دفعت الجارري إلى الدخول في حوار شعري مع العديد من الشعراء، نجدها متعددة، منها ما يكون بمناسبات دينية، أو اجتماعية، أو في لقاءات علمية وندوات فكرية، تجمعهم مع بعض الشعراء أو المشتغلين بقضايا الفكر بشكل عام.

ولما كانت علاقات الشاعر الجارري متعددة ومتنوعة، ومتسعة في الزمان والمكان، فقد جاءت مساجلاته بدورها كذلك. ساجل شعراء من المغرب، ومن دول عربية متعددة، كالإمارات العربية المتحدة، والبحرين، واليمن، وليبيا، وسوريا، والمملكة العربية السعودية. هذا التعدد سمح للجارري أن تطرق مساجلاته مواضيع وقضايا متنوعة.

وتأملنا لمساجلات الجارري يضعنا أمام نصوص لا تقتصر على تبادل العواطف والمجاملات التي يقتضيها هذا النوع من القصيد، بل نجد أنفسنا معه، شاعراً يطرح من خلال مساجلته بعض القضايا التي تشعبت لتلمس الديني والسياسي والأدبي....

(1) كتاب «المجالس الأدبية لعبد الله بن العباس الجارري» كان موضوع رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف الدكتور عباس الجارري، تحقيق ودراسة من إنجاز الباحثة عائشة نواير، ونوقشت بكلية الآداب، جامعة محمد الخامس بالرباط خلال الموسم الجامعي 1989 - 1990. (مرفوعة)

المساجلة عند الجراري لها، أحياناً، ظاهر وباطن. قد لا يوحي موضوعها في البداية إلا بالمألوف الذي تُدار حوله المساجلة، بنفس إخواني مجامل، ثم لا تلبث أن تُواجه بانعطاف للعبارة الشعرية لتدخلك عالماً آخر، وتضعك أمام موقف وقضية.

لننظر في مساجلته مع الشاعر الموريتاني محمد عبد الله التمين، التي دارت حول كأس شاي دُعي الشاعر الجراري إلى شربه مشاركة مع ثلثة من العلماء والأدباء.

قال الشاعر الموريتاني صاحب الدعوة⁽¹⁾:

شَرِينَا كُؤُوسَ الشَّايِ وَهُوَ لَنَا عَدْبُ لَدُنْ شَرَفِ الإِخْوَانِ وَالْأَهْلِ وَالصَّحْبِ
مَعَ الشَّيْخِ عَبَّاسٍ وَشَوْقِي وَشَيْخِنَا عَلَيَّ وَأَحْمَدْنَا وَمَجْلِسَنَا الرَّحْبِ

فجاء جواب الشاعر الجراري قائلاً⁽²⁾:

هو الشاي هل أنبيك عن حسناته وعمّا له في النَّفسِ إذ يعذب الشُّرْبُ

وستكون هناك دعوة ثانية من طرف الشاعر الموريتاني فلبّي الجراري الدعوة

وقال⁽³⁾:

وكرّر يدعوني إلى شايه الأعلى أجبْتُ على أَنَّ المكَرَّرَ هو الأَحلى
وفي جلسة بالصَّفْوِ لَدَّ شَرَابِهِ يُرَيِّنُهَا «شَوْقِي»⁽⁴⁾ بِرُفْقَتِهِ المَثَلِي
وعبد الإله السمح بالصُّنْعِ ينتشي يُقَلِّبُ كَاسَاتِ الأَتَايِ بما يُمَلَأُ

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 75.

(2) أنظر النص كاملاً في الجزء الثاني من ديوان عباس الجراري، ص، 76.

(3) نفسه، ص، 78.

(4) الدكتور أحمد شوقي بنين، مدير الخزانة الملكية بالرباط، باحث متخصص في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي.

ولولا حديثُ الحربِ تَبَأْ لـ «بُوشها» لكانت لَذَا ذَاتُ الشَّرَابِ بِهَا أَعْلَى

المساجلة في الظاهر حول جلسة شاي، يتهماً المتلقي لخطاب « حُلُو»، فالشاعر يرسم جلسة « لَدْ شرايها»، وزَيِّنها جلاس تحلو معهم المجالسة، خاصة وأنها تتم بحضور الأستاذ أحمد شوقي بنبين الذي لا يخلو مجلسه من علم وأدب ومُلمح وظرف.

لكن هذا التأييد الذي يشيع البهج، يُسقط توقع القارئ، بانعطاف في البيت الأخير، يدخل المتلقي إلى دائرة مختلفة، وتقلل الصياغة الشعرية من «لذاذة الشراب» ومتمعة الجلسة التي كان بالإمكان أن تكون أعلى.

حضر « بوش» في النص، إلى جانب «أبي لهب» المحتفي في «التب»، فتناقلت في ذهن المتلقي صور مأساة العراق، وما آل إليه وجه حضاري عربي من تشويه وخراب على يد الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها «بوش». وتغدو بؤرة المساجلة قضية عربية منتزعة من صميم الواقع العربي الأليم، وهو واقع يحوّل لذاذة الشاي إلى قهوة عربية مُرة:

ولولا حديث الحربِ تَبَأْ لـ «بُوشها» لكَانَتْ لَذَاذَةُ الشَّرَابِ بِهَا أَعْلَى

هكذا صدح الشاعر الجرامي في جلسة شاي، كانت محور مساجلة.

هذا النفس السياسي الذي يتخلل المساجلة الجرامية، سنجدّه يتكرر في الحوار الذي دار بينه وبين الشاعر عبد العزيز التويجري. كان الفضاء الذي أوحى بتلك المساجلة، تخيم عليه أجواء فكرية في سياق ندوة علمية. وكُتبت قصيدة الجرامي في إطار ما عرف فيما بعد بـ«المساجلة الانجولاسية»⁽¹⁾. ورغم طابع الدُعاة

(1) أنظرها في هذا الجزء الثاني من ديوان عباس الجرامي، ص، 85.

الذي غلّف هذه المساجلة في صياغتها العامة، فإن الشاعر الجراري لم يتردد في تحليلها بنقد سياسي موجه إلى دولة الأنجليز، وهو نقد جاء في سياق ما تعرضت له الأمة العربية من دسائس، تجلت هنا في المؤامرة التي حيكت لتخريب بلاد العراق، وكانت بريطانيا من أدواته، ومشاركة في رسمه تخطيطاً، وإنجازه تنفيذاً. تبدأ المساجلة بين الشاعرين بقول الجراري مخاطباً عبد العزيز⁽¹⁾:

يَا سَيِّدِي عَبْدَ الْعَزِيزِ ————— ز يَا أَمِيرَ الْقَافِيَةِ

والقصيدة أصلاً عتاب للأستاذ أحمد العمارتي⁽²⁾ الذي لم يف بوعده لاستضافة مجموعة من أصدقائه، وشكا الجراري هذا التسويف، بل إنكار المعنى لما وعد به، وسفره إلى بلاد الأنجليز، الذي اعتبره الجراري فراراً، فقال مخاطباً صديقه التويجري⁽³⁾:

لَمْ يَكْفِهِ إِنْكَارُهُ لِرَزْدَةِ إِخْوَانِيَّةِ
بَلْ فَرَّ مِنْ حَقِّ لَنَا إِلَى الْأُمِّيِّ الزَّبَانِيَّةِ
أَعْنِي بِلَادَ الْأَنْجَلِيَّةِ ————— زِ وَ«بِيلِير» الطَّاغِيَّةِ

ينقلك هذا الانعطاف من جو الدعابة، إلى صميم واقعنا العربي في مرحلة عصيبة، وينسج الشاعر الجراري مَعْبِراً إلى اللحظة المأساوية خَلَلِ «الفرار»؛

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 98.

(2) الإشارة إلى الأستاذ الأديب أحمد حسن العمارتي، أحد المشاركين في «المسألة الأنجولاسية»، وكانت مشاركته في شكل مقامات، جمعها وأصدرها في كتاب تحت عنوان « التماس المنى والقلائد مما في المقامات العمارتية من أدب وفوائد»، سنة 2011.

(3) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 99.

ولكن إلى أين؟ إلى بلاد الزبانية! كيف يفر عربي من بلاد عربية إلى بلاد الطاغية؟ لقد كانت لحظة أخرجت المتلقي من حالة إلى حالة، من حالة تفكّه تجلّها ظلال المرح، إلى لحظة رُسمت بلون أقتم، أعادت الشاعر المساجل والمتلقي، إلى زمن عربي رديء، صنّع بمساهمة انجليزية زمن «توني بلير Tony Blair». هذه مساجلة تُريك أن الشاعر الجراري لا ينفصل - وإن في سياق المداعبة - عن هموم أمتة العربية الإسلامية. وتعكس العبارة الشعرية التي نسجها الجراري عمق الألم الذي يخبّئه الوجدان العربي، بسبب ما حلّ ببلاد العراق، فاللحظة المدونة شعراً، ليست صدى لشعور فردي، بل تعبيراً عن وجدان جمعي عربي إسلامي، وتحدد لفظتا «الزبانية» و«الطاغية» مستوى الغضب الذي يتأجج في أعماق الشاعر.

وترافق الهموم العربية الشاعر الجراري في مساجلاته مع بعض الشعراء العرب، فحينما خاطبه الشاعر اليمني عبد الولي الشميري مهنئاً بشهر رمضان، وكان يومئذ سفيراً لبلاده في القاهرة، أجابه الجراري بقوله⁽¹⁾:

تَقَبَّلْ عِبَارَاتِي الشَّاكِرَةَ	بِأَدْعِيَةٍ نَزِيحِي غَافِرَةَ
وَإِنِّي لِأَغْبُطُ صَوْمَكَ فِي	رِحَابِ الْمُعْزِيَةِ الْقَاهِرَةَ
تُرَى هَلْ عَلَى مَا أَلْفَنَاهَا	تُقَامُ اللَّيَالِي بِهَا سَاهِرَةَ؟
أَمْ أَنْ الدَّوَاهِي بِسَاحَتِهَا	تُعَكَّرُ أَجْوَاهَا الْبَاهِرَةَ؟

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 143.

للشاعر الجراري علاقة وجدانية عميقة بأرض الكنانة، وله في القاهرة ذكريات منذ أيام الطلب، وآثار المحروسة لها بصمات في بعض كتاباته، وتجمعه علاقات عديدة مع شخصيات مصرية من أساتذة الجامعات وبعض المفكرين والساسة...، فحينما ساجله الشاعر اليميني الشميري من تلك الديار، حرك في أعماقه مشاعر الماضي الذي استقر في دواخله منذ أيام الدراسة الجامعية وما تلاها، فانبثق التساؤل من خلال المساجلة يقول⁽¹⁾:

تُرَى هَلْ عَلَى مَا أَلْفْنَا بِهَا تُقَامُ اللَّيَالِي بِهَا سَاهِرَةٌ ؟

هذا التساؤل طفا على السطح في شهر غشت سنة 2011، كيف حال مصر يومئذ؟ لماذا يرد طي المساجلة لفظ «الدواهي» ولفظ «التعكير»؟ ولماذا التساؤل عن ليالي القاهرة الساهرة؟ هل تحول الحال؟

يبدو أن التساؤل انبعث من الأوضاع التي كانت مصر تعيشها في ذلك التاريخ الذي دارت فيه المساجلة. فرمضان عام 1432هـ، لم يكن عادياً. صادف حلوله أحداث ما سمي بالربيع العربي الذي لفح مصر، وكانت تداعياته على البلد أليمة. ولم تفت الشاعر الجراري هذه اللحظة، ليتساءل عن قاهرته التي ألفتها مجتمعاً ينبض بالحياة، وبؤرة للإشعاع الفكري والعلمي والفني. لياليها ساهرة، وجامعاتها عامرة، وحركيتها فاعلة، وهو الأمر الذي بدا للشاعر وكأنه بدأ يخبو، لتحل الدواهي محل الأيام الزاهية، ويتحول الربيع المأمول إلى خريف رمادي. هكذا ولدت تهنئة من صديق شحنت عاطفية كامنة في دواخل الشاعر ومرتبطة بواقعه المعيش فصبتها في مساجلته؛ ومثل هذه الإشارات التي ترشح بها مساجلات الشاعر، تؤكد ذلك

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 143.

الارتباط العميق لهذا المفكر المغربي بقضايا أمته العربية الإسلامية، والذي نجد أسسه في العديد من أبحاثه العلمية الأكاديمية.

هذه اللحات ذات الطابع السياسي أو الإشارات التي تتضمن مواقف من قضايا معينة، لم تنحصر تجلياتها في النصوص الجراحية، بل تبدت ملامحها كذلك في أشعار مساجليه؛ ذلك ما نلحظه في إحدى مساجلاته مع الشاعر عبد العزيز التويجري، جرت على هامش ندوة فكرية حول حوار الحضارات، نظمتها منظمة الايسيسكو بمدينة شفشاون في شهر أكتوبر 2006. خاطب التويجري عباس الجراري قال⁽¹⁾:

أَطَالَ الْعَمْرُوتِي رَغْمَ أَنْبِي نَصْحَتُهُ وَذَلِكَ فِعْلٌ قَدْ أَرَادَ بِهِ حَيْفًا
وَزَادَ أَخُونَا بَعْدَهُ مِنْ جَزَائِرِ أَبُو جَرَّةٍ قَوْلًا تَعَدَّى بِنَا حَيْفًا
وَجَاءَ مِنْ الْإِسْبَانِ نِمْ مَفْوَةٌ وَمِنْ فَارِسٍ وَسئَى تَرَجْمَهَا هَيْفًا
وَفَرَّخٌ مِنْ الرَّمَانِ لَمَّا يَهْوَدُوا يُبَيِّرُ لَنَا لُطْفًا وَيُخْفِي لَنَا سَيْفًا

سياق هذه المساجلة، يشير إلى أن الأستاذ أحمد حسن العمارتي، كان مشاركاً في الندوة، وقد كان مُطيلًا في عرضه، رغم تنبيه الأستاذ التويجري بان تكون كلمته من المختصر المفيد. ويبدو أن السيد العمارتي، لم يعر اهتماماً لنصيحة صاحبه. وتحمل أبيات الشاعر عبد العزيز نوعاً من التضايق، بسبب إطالة بعض المتدخلين في هذه الندوة. لكن الذي يلفت النظر، هو تلك الإشارات التي حملتها المساجلة الشعرية. فهناك «أخونا أبو جرة» من الجزائر، و«المفوة الإسباني»،

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 91.

و«الوسنى» من بلاد فارس، و« فرخ من الرومان». هذا المعجم لا يخلو من إحصاءات، وتبدو غير بعيدة عن مشارب السياسة. وهل يمكن ألا تستوقف المتلقي عبارة « فرخ من الرومان» والفرخ من الرجال هو الدليل؟ وتأتي كلمة «تهودوا»، وهي ذات محمول سياسي واضح في هذا السياق، خاصة وأن الكلام ينظم في أحضان ندوة «حوار الحضارات»، وينجلي ما قد يكون مبهماً، حين وصف الشاعر التويجري هذا «الفرخ الروماني»، بأنه من طينة أولئك الذين جاؤوا إلى «حوار الحضارات» وتحت رداهم عمرو!

بهذا المعنى، تغدو المساجلة قالباً شعرياً يصب فيه الشاعر مشاعره بكل تموجاتها، وضمنها تفاعله مع ما ينبض به واقعه من أحداث سياسية.

والخبيء كذلك في ثنايا شعر المساجلات عند عباس الجراري، ما يقف عليه قارئ هذه النصوص، من إثارة بعض المسائل التي تتصل بمجال الحياة الدينية الإسلامية، وقد يساق ذلك في صياغة لا توحى بُدءاءة، بحضور مثل تلك القضايا داخل نص يتشع بروح مازحة. لننظر في تلك المساجلة التي دارت بين الجراري والتويجري، والتي انطلقت من ذلك التغيير الذي مس وجه الشاعر عبد العزيز، ورصده الشاعر الجراري خلال جلسة علمية جمعتهما، حيث استغرب الجراري ما رأى، وبعد أن عاد إلى بيته كتب قصيدة في الموضوع، وبعث بها إلى المعنى بالأمر، وفيها يقول⁽¹⁾:

وَجْهَ التَّوَيْجِرِيِّ أَرَى فَمَا لَهُ مُغَيَّرًا
بِلِخِيَةٍ قَدْ كَشَفَتْ مَشِيْبَهُ الْمُسْتَرًّا

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 116.

جاءت صياغة هذا النص في قالب تجلله روح دعابة، لكن لم يخل من جد.
ذلك أن الشاعر الجرامي - وهو المتشبع بالتقافة الإسلامية العميقة - يطرح ضمن
النص، مسألة لها أهميتها في الفقه الإسلامي، ترتبط بموقف الدين الإسلامي من
إعفاء اللحية.

فع المداعبة الشعرية وُصفت لحية التويجري بأن⁽¹⁾:

رَغْبَائُهُمْ كَ (قَرَشَلٍ) أَوْ نَبْتَةٍ فَوْقَ الثَّرَى
كُؤَيْدِمَا) صَغِيرَةٌ مَع (شَارِبٍ) غَطَّى الْعَرَا
قَدْ غَيَّيْتُ مَلَأِحًا كَانَتْ تَفُوقُ الْقَمَرَا

وفي سياق ذلك يحض الجرامي صاحبه على التخلص من هذه اللحية، بداع
أنها أخفت ملامحه التي ألفتها أعباءه مليحة، ولكن في نفس الآن، نامس من وراء
هذا الإلحاح على إزالتها، موقفاً دينياً يميل إلى عدم إعفاء اللحية، فيؤكد الشاعر
الجرامي الإسراع بحلقها، قال⁽²⁾:

فَلْيُسْرِعْ لِحْلِقِهَا وَلَا يَكُنْ مُحَيَّرَا
بِالْمُوسَى أَوْ بِآلَةٍ وَيُفْعَلْنَ كَمَا يَرَى
إِيَّاهُ أَنْ يُبْقِيَهَا حَذَارِ أَنْ يُؤَخَّرَا

(1) من ديوان عباس الجرامي، الجزء الثاني، ص، 116.

(2) نفسه، ص، 117.

وهذا التحذير للشاعر التويجري، وإن بدا سياقه في إطار تفكُّهِي، فإنه لا يخلو من خلفية تحيل على موقف علماء الإسلام من هذا الموضوع المرتبط بإعفاء اللحية أو حلقتها، الذي تعددت حوله الآراء بين مختلف المذاهب. فنَبَّه الشاعر الجراري⁽¹⁾:

بِأَنَّ دِينَنَا أَتَى بِمَوْقِفٍ قَدْ سَطَّرَا
حَاشَاهُ لَيْسَ مِثْلَهُ بِمِثْلٍ ذَا قَدِ أَنْبَرَى
فَأَلْأَمْرَ لَا يَعْدُو بِأَنَّ يَكُونُ عُرْفًا قَدْ سَرَى
لِكُلِّ عَضْرٍ ذَوْقُهُ وَمَا يَرَى بِلَا أَمْتِرَا

وتم تبرئه الشاعر التويجري، وإزالة أي تأويل ديني لتلك اللحية. والذين يعرفون الدكتور عبد العزيز التويجري، يعرفونه رجلاً عميق الإيمان، مناهجاً عن القيم الإسلامية مؤمناً بأن المسلم الحق ليس بلحية سُدِلت أحياناً بهتاناً!

لقد بدا النص أفقياً مداعباً، لكن حشوه قضية اختلف حولها علماء الإسلام وكتب فيها الكثير، وما تزال تشغل المسامير إلى اليوم. وبذلك تكون المساجلة الجرارية حافزاً لخلق النقاش، فيندفع الطرف الآخر للرد والبيان والحجاج على غرار ما جاء في جواب الشاعر التويجري، الذي سارع إلى الإجابة مبيناً أن لحيته بدون خلفية إيديولوجية، قال⁽²⁾:

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، صص. 117-118.

(2) نفسه، ص، 119.

عَبَّاسٌ تِلْكَ لِخِيَّةٌ جَدِيدَةٌ كَمَا تَرَى
وَمَالَهَا عَاقِلَةٌ بِالدِّينِ حَاشَا الْإِفْتِرَا
وَلَمْ أَكُنْ مُوسَوَسًا وَمَا قَصَدْتُ مُنْكَرَا
وَإِنَّمَّا وَجَاهَةٌ بِالشَّيْبِ بَعْدَ مَا طَرَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ زُمَّرَا أُرِيْلُهَا بِرَأْسِ مَرَا

وفي إطار هذه الإشارات الدينية نقف مع مساجلة جرارية أخرى، ضمنها صاحبها مسألة ترتبط بذبيحة العقيقة. كانت المناسبة حفل عقيقة حفيده الأديب أحمد حسن العمارتي، دعي لها الشاعران الجراري والتويجري. جرت بينهما مساجلة استدعتها المناسبة، فكتب الثاني مساجلا الأول⁽¹⁾:

دَعَانِي الْعَمَارَتِي لِلْعَقِيقَةِ صَاحِكًا فَسَارَةُ بِنْتُ الْإِبْنِ أَعْلَى مِنْ الْإِبْنِ

فجاء جواب الجراري⁽²⁾:

صَدَقْتَ أَيَا عَبْدَ الْعَزِيزِ مُعَاتِبًا لِأَحْمَدَ مِنْ بَعْدِ الْعَقِيقَةِ فِي حُزْنِ
عَقِيقَةُ بِنْتِ الْإِبْنِ يَخْلُو أَحْتِفَاؤُهَا وَيَهْتَرُ فِيهَا الْجُدُّ بِالرَّفْصِ وَاللَّحْنِ
مَوَائِدُهَا مَدَّتْ بِمَا هُوَ مُشْتَمَى وَمَا لَمْ يَرِدْ فِي الْفِكْرِ أَوْ يَكُ فِي الظَّنِّ
وَخَيْمَتُهَا مِثْلُ الْقَبَابِ سَمَتْ عَلَى مَبَانِي الْقُصُورِ الشَّاسِعَاتِ بِرَأْسِ
كِبَاشٍ كَأَفْيَالٍ، سَمَاتٌ تَعَدَّدَتْ عَلَى غَيْرِ مَا فِي مَذْهَبٍ وَبِلَا سَنْ

(1) أنظر النص الكامل في الجزء الثاني من ديوان عباس الجراري، ص، 121.

(2) نفسه، ص، 123.

ويعلق صاحب النص في الهامش على الإشارة الواردة في البيت الأخير بقوله: «إشارة إلى المذهب المالكي وإلى السنة، ذلك أن عندنا في المذهب، يعق للذكر أو للأنثى بشاة، خلافاً لبعض المذاهب كالشافعي الذي جعل للذكر شاتين وللأنثى واحدة»⁽¹⁾.

فالنص المداعب، لا يمتنع أن يُشرب شحنة معرفية، ترتبط بإثارة قضية جدالية، هي في هذه المساجلة، ذات صبغة فقهية تمس حياة الإنسان المسلم، ويرشح منها جانب من ثقافة المتساجلين.

ولما كان الجراري من الذين لهم صولات وجولات في الساحة الثقافية المغربية، عبر عقود من الزمن، ومؤسساً للدرس الأدبي المغربي في الجامعة المغربية، وغداً بحق عميداً لهذا الأدب وصاحب مدرسة، فليس الأمر غريباً إن نحن وقفنا في مساجلاته على إثارة بعض القضايا الأدبية والنقدية، من خلال تلك الإشارات الواردة فيما تبادلته من حوار شعري مع بعض الشعراء والجامعيين.

من تلك القضايا، وضعية الشعر العربي وما آل إليه من ضعف، حوّله من شعر إلى شعير! طرح هذه المسألة وهو يساجل الشاعر مصطفى الشليح، فقد خاطب شاعرُ الرقراق عباس الجراري في رائية، قال⁽²⁾:

إِني سألْتُ القَوافي وهي حائِرةٌ بيني وبينكُ عمّا كان من أمرِ
عن ربة الشعر والأنسام مائسة بما لديها من الأنعام والشعرِ
أعند صدرك تغفو وهي طارحةٌ عنها تجاسد صوت أم على صدري؟

(1) الهامش رقم 2، ص، 123.

(2) أنظر النص الكامل لهذه الرائية، في الجزء الثاني من ديوان عباس الجراري، ص، 55.

كان هذا التساؤل حافظاً للشاعر الجراي، لإمطة اللثام عن واقع الشعر العربي في مرحلته المعاصرة، فقال سائلاً ومجيباً⁽¹⁾:

مَهلاً أَيَا مُصْطَفَى تُلْقِي مُسَاءَ لَهْ لِرَبِّةِ الشَّعْرِ عَنِّ إِبْدَاعِهَا الدَّرِي

.....

وَالْيَوْمَ مَا ذَا الَّذِي تَبْغِي أَخَا فَنِّ وَأَنْتِ تَعْرِفُ أَنْ الشَّعْرُ فِي دَحْرِ
فَمَنْذُ قِيلَ بِأَنَّ الْقَارِضِينَ لَهُ فِي الْعُرْبِ أَرْبَعَةٌ مَنَ مِنْهُمْ يَجْرِي؟
أَيَفْنَتْ أَنْ الشَّعْرَ الْيَوْمَ غَالِبُهُ إِلَى الشَّعِيرِ أَنْتَمَى أَوْ قُلْ إِلَى الْعَهْرِ
مَا عَادَ نَاطِمُهُ يَسْبِي الْعُقُولَ وَلَا لِلْمُوحِشِينَ أَنْيسَ أَلْمَهْمِهِ الْقَهْرِ
قَدْ كَانَ لِلْكَؤُوفِ وَالْإِنْسَانِ بَلَسَمَهُ مِرْآةَ عَشْقِ الَّذِي لَمْ يُفْضِ بِالسِّرِّ

المساجلة تدور بين شاعرين، كل منهما متابع للإنتاج الشعري العربي ليس في المغرب، وإنما يتسع الاهتمام، ليشمل أهم ما تنتجه الأسماء الفاعلة في الحقل الشعري في المشرق والمغرب، وقد يمتد الاهتمام إلى ما تموج به الحركات التجديدية على المستوى العالمي، ناهيك عن المتابعة من خلال الكتابة النقدية التي ساهم بها عميد الأدب المغربي، والباحث الدكتور مصطفى الشليح.

يتحرك عباس الجراي من خلال هذه المساجلة بإهابين: شاعراً وناقداً. وترشح المساجلة بموقف نقدي واضح، صادر عن خبرة ومتابعة ودراسة وتمحيص.

(1) من ديوان عباس الجراي، الجزء الثاني، ص، 57.

وفي إطار الحديث عن الوضعية التي آل إليها الشعر في المغرب، شكّا الشاعر مصطفى الطويبي هذا الأمر إلى عميد الأدب المغربي، من خلال قصيدة ميمية، شكلت أسّ مساجلة دارت بين الشاعرين. الحوار هنا بين جيلين، ورغم أن الشاعر الطويبي ينتمي إلى جيل الشباب، فإنه يرى أن ما آلت إليه الكتابة الشعرية المعاصرة في المغرب، لا تنبيء بخير، فحمل شكواه وراح يصبها في ميمية تقول⁽¹⁾:

الشَّعْرُ فَاضَّ عَلَى الْوِجْدَانِ مُحْتَشِمًا وَالْبَدْرُ هَلَّ عَلَى الْأَشْرَافِ مُبْتَسِمًا
قَدْ كَانَ لِي وَهَجٌ فِي الْقَوْلِ يُطْرِبُنِي ثُمَّ انْزَوَيْتُ فَصَارَ الصَّمْتُ مُقْتَحِمًا

خلال هذه القصيدة، تنساب نبرة حسرة على زمن كانت للشعر حُرمة، رآها الشاعر الطويبي انتهكت عُتوة، وسَامها كل مفلس! قال⁽²⁾:

وَلَى الرِّمَاتُ الَّذِي كُنَّا نُبْجِلُهُ شِعْرًا وَتَثْرًا لَدَى الطُّلَابِ مُنْتَظِمًا
هَذَا يَحْوِكُ مِنَ الْأَشْعَارِ أَجْرَلَهَا وَذَا يُصَرِّفُ فِي أَقْوَالِهِ الْحِكْمَا
وَالآنَ يَا أَسْفِي أَنْعَى لَكُمْ زَمَنِي هَذَا الَّذِي صَارَ فِي التَّارِيخِ مُنْعَدِمًا
تَكْحَلُ الْخُلُقُ بِالْآدَابِ كُلِّهِمْ شَيْخُ الْبِلَادَةِ أَحْضَى شَاعِرًا هَرَمًا

إنها صرخة من شاعر شاب، ينتمي عُمرًا إلى الجيل الجديد من الشعراء، وفنيا، هو شاعر لا يسبح في بحور الخليل فحسب، بل مارس الكتابة الشعرية عمودياً ومتحرراً؛ وقد أشار إلى ذلك في قوله⁽³⁾:

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 197.

(2) نفسه، ص، 198-199.

(3) نفسه، ص، 197.

وصرت عبئاً على الآداب أغبرها أُجْرِبُ الْقَوْلَ أَوْزَاناً وَمُنْعِدِمَا

ويجيء جواب الشاعر الجرامي مساندا لشاعر، يهوى الأصيل من الشعر، وجد نفسه محاصراً من فئة تصطف في طابور يدعي التحديث - دون امتلاك أدواته- والتمرد على كل أصيل بعيداً عن تشربه وتأمله. جاءت المساندة من عميد الأدب المغربي لهذا الشاعر ليدفع عنه ما أحس به من ضيم وحيف؛ فخطابه بقوله⁽¹⁾:

الشِّعْرُ فَاصٌّ بِصِدْقٍ فَلْتَدْعُ سَأْمَا وَهَاجٌ وَجُدُكَ حَقًّا لَيْسَ ذَا حُمَا
أَبْدَعْتَ رَائِعَةً أَحْيَيْتَ مَشَاعِرَنَا وَأَطْرَبْتَ أَنْفُسًا تَأَقَّتْ لِمَا نُعَمَّا
وَأُخْرَسَتْ أَلْسِنًا دَعْوَى الْجَدِيدِ لَهَا هَذُمُ الْأَصِيلِ وَمَا يَبْدُو لَهَا سَقِمَا
أَبْدَعُ كَمَا شِئْتَ لَا تَحْفَلُ بِذِي حَسَدٍ وَلَا يَرْغَبُ الَّذِي بِالْقَلْبِ قَدْ نَقَمَا
مَازَالَ سَيْلٌ قَرِيضٍ مِنْكَ يَبْعُثُ مَنْ غَدَوْتَ - ظَنًّا - عَلَى تَرْحَالِهَا وَجَمَا
فَاهُنَّا فَأَنْتَ لِصَافِي الشِّعْرِ تَقْرُضُهُ كَالْعَقْدِ لَوْلُؤُهُ بِالتَّبْرِ قَدْ نُظَمَا
فَالشِّعْرُ عِنْدَكَ أَنْعَامٌ مُرْتَلَةٌ بِهِ سَمَوْتَ وَكُنْتَ النُّجْمَ وَالْعَلَمَا

هذه المساجلة بين الشعارين عباس الجرامي ومصطفى الطوي، تبسط جانبا من ذلك الصراع الذي تعرفه الساحة الأدبية في المغرب، بين شعراء يرغبون في حفظ القول الشعري من السقوط في الضحالة، وأولئك الذين يتخذون من الدعوة إلى التجديد مطية للاصطفاف إلى جانب الشعراء، دون أن تتوافر

(1) من ديوان عباس الجرامي، الجزء الثاني، ص، 200.

لما يكتبون، تلك المقومات الفنية التي تحفظ للنص شعريته؛ والساحة المغربية ملأى بـ «أبي نقطة»⁽¹⁾.

وأتاح مساجلات الشاعر الجراري، طرح قضية أخرى لها نسب وقربي بالجمال النقدي، وتمثل في المفاضلة بين الشعراء. هذه مسألة لها جذورها في تراثنا النقدي، فالكتب التي استندت إلى «الموازنة» أو «المفاضلة» أو «الوساطة»، والانتصار لهذا الشاعر أو ذاك، عديدة.

ففي المساجلة التي دارت بين الشعارين الجراري والشليح، طرحت هذه المسألة، التي رمت - من خلال إشارات - إلى المفاضلة بين شعراء العدوتين: الرباط وسلا، وهو أمر يذكرنا بما كان بين العدوتين التاريخيتين: المغرب والأندلس، وما دار في هذا المجال كثير، ورسالة الشقندي ما يزال لها في الأذان رنين.

رأية الشاعر السلوي تقول⁽²⁾:

الْعُدَوَاتُ خِبَاءٌ لِي يَطْرَزه
فَتِيَاتُ قَافِيَةٍ بِالْأَنْجُمِ الْعَرِّ
لَكُنْتِي قَدْ أَمُدُّ الظِّلَّ مِنْ وَلهِ
عَلَى سَلَا حَيْثُ يَرْسُو مَرْكَبُ الْفَخْرِ
قَدْ صِرْتَ مِنْهَا جَمَالاً عَزَّ مَطْلَباً
وَلَيْسَ يُدْرِكُهُ مِنْ عِزِّهِ غَيْرِي
وَصَارَ مَعِّي الَّذِي مَا قَالَ قَافِيَةً
حَسَنَاءَ إِلَّا وَهَامَ السَّحْرِ بِالسَّحْرِ
مُوشِخاً وَمِنَ التَّارِيخِ عُرته
وَمَا سَلَا غَيْرُ تَارِيخٍ مِنَ الشَّعْرِ

(1) «أبو نقطة»، عبارة كان بعض النقاد في المشرق العربي، يطلقونها على أولئك الذين يكتبون نصاً يكون السطر فيه مكوناً من كلمة واحدة أو كلمتين، ثم يتبعها صاحب النص بنقط (....) سائراً على نفس المنوال إلى النهاية. والمقصود بفتنة أبي نقطة من يسعى إلى حشر نفسه في صف الشعراء بدون حق، علماً أن هناك شعراء كتبوا القصيدة الحرة بشعرية عالية.

(2) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، صص، 55-56.

نعم ! لسلا تاريخها الشعري، لكن الشاعر الجرامي لا يرغب في ولوج باب المفاضله، خاطب الشاعر السلوي فقال⁽¹⁾:

مَهْلًا أَيَا مُصْطَفَى تُلْقِي مُسَاءَلَةً لِرَبَّةِ الشِّعْرِ عَنِ إِيْدَاعِهَا الدَّرِي
هَلْ نَبُعُهُ مِنْ رِبَاطِ الْفَتْحِ أَمْ بِسَلَا؟ وَهَلْ بِرُوضِهِمَا مِنْ أَنْجَمِ زُهْرٍ؟
إِيِّي - عَلَى الْعَلَمِ - لَا أَبْغِي مُفَاضَلَةً وَلَا أَسْتَبَاقًا إِلَى الْمِيدَانِ إِذْ أَدْرِي
أَبَّ الشُّعُورَ بِمَا يُوحِيهِ دَافِقُهُ فِي الصِّفْتَيْنِ عَدَا رَقْرَاقُهُ يَسْرِي

الشاعر الجرامي على علم بأن العدوتين (الرباط وسلا)، أنجبتا من الشعراء فحولهم على امتداد التاريخ الشعري لهذه الأصقاع، لكنه نكّب عن سرد هذا التاريخ: وصدع القول⁽²⁾:

لَا أَبْتَغِي ذِكْرَ فُرْسَانَ لَنَا رَحَلُوا بِالْعُدُوتَيْنِ عَدَا فِي الْمَدِّ وَالْحُجْرِ
يَنْقَادُ شِعْرُهُمْ سَلْسَاءً بِلَا كَلْفٍ تَرْدُ أَصْدَاءَهُ آفَاقُ ذَا الْبَحْرِ

غير أن الشاعر الرباطي حينما مال عن المفاضلة، لم يغفل ذكر بعض أعلام الشعر في مدينة الرباط، وجاء التركيز على أسماء شعراء النادي الجرامي، وهم من أجيال مختلفة، كان الشاعر السلوي مصطفى الشليح أحدهم⁽³⁾.

ما دار بين الشعارين، سمح لمتلقي بالتعرف على وجه آخر للشاعر الجرامي، هو الشاعر/الناقد، من خلال ما صدع به من آراء - في هذا النص وفي

(1) من ديوان عباس الجرامي، الجزء الثاني، ص، 57.

(2) نفسه، ص، 57.

(3) أنظر أسماء شعراء النادي الجرامي الذين أشار إليهم الشاعر، في قصيدته الرائية.

مساجلات أخر - حول مفهومه للشعر، وما طرحه من ملاحظات حول إنتاج عدد من الشعراء الذين مَحَّص الكثير من أشعارهم.

ورشحت مساجلات عباس الجراري بقضية أخرى، تشكل أهمية كبيرة بالنسبة للحركة الشعرية العربية المعاصرة. ففي دار بين الشاعر الجراري والشاعر علي الصقلي من مساجلات، أعلن عميد الأدب المغربي الصقلي أميراً للشعراء.

مسألة إمارة الشعر من صميم الاهتمامات النقدية الأدبية، لا يعلن شاعر أميراً للشعراء، إلا بعد أن يكون منجزه الشعري، قد سَمَا إلى درجة عُليا في الإبداع، ويكون هذا الإسم قد ساهم في إغناء التجربة الشعرية العربية وتطويرها، مما يخوله حق التربع على هذه الإمارة. هناك إذاً تمحيص وتنخيل وتقويم، والكل -عمليا- من صميم المسألة النقدية. وتحقق عميد الأدب المغربي من توافر كل المقومات التي تجعل الشاعر الصقلي يستبيح إمارة الشعر العربي. صدع بذلك من خلال إحدى مساجلاته التي دارت بينهما. كان ذلك سنة 2011 حينما قدم الجراري إلى علي الصقلي، مجموعة من الكتب، فكتب الأخير شاكراً، وقال⁽¹⁾:

أَعْرِفْتَنِي يَا لَيْسَ كُلُّ غَرِيقٍ مِثْلِي، وَفِي بَحْرِ لِحَيْرِ صَدِيقٍ
بَحْرِ اللَّالِيءِ يَصْطَفِي أَعْلَاقَهَا فَكَّرَ عَشِيقُ الصَّيْدِ، يَا لَعَشِيقِ!
فَكَّرَ غَنِيٌّ، عَبَقَرِيٌّ، نَابَهُ يَزُوي... وَمَا يَزُوي بَعِيرِ رَحِيقِ

(1) أنظر النص الكامل، في الجزء الثاني من ديوان عباس الجراري، صص، 147-148.

فجاء جواب الشاعر الجراري يقول⁽¹⁾:

بَلْ أَنْتَ مَنْ أَعْرِفْتَنِي بِتُمَالَةٍ فِي بَحْرِ شِعْرِ رَائِقٍ وَأَنْبِقِ
بِالْحُبِّ يَسْمُو مَوْجُهُ مُتْرَاقِصاً زَهْواً بِمَا أَهْدَيْتَنِيهِ رَشِيقِ
أَهْدَيْتَنِي مَا فَاقَ كُلَّ هَدِيَّةٍ بِالتَّبَرِّ أَوْ بِالذُّرِّ أَوْ بِعَقِيقِ

وَحَلَّلَ هَذَا النَّصَّ، أَقْرَأَ عَمِيدُ الْأَدَبِ الْمَغْرِبِيِّ إِمَارَةَ الشَّعْرِ لِلصَّقَلِيِّ، وَشَفَعَ
إِعْلَانُهُ بِتَوَاضُعِ الْعُلَمَاءِ حِينَ قَالَ⁽²⁾:

أَنْتَ لِمِثْلِي أَنْتَ يُسَاجِلُ قِمَّةً فِي الشَّعْرِ تَعْلُو ذُرُوكَ كُلِّ شَهِيْقِ
قَدْ حُزَّتْ فِي سَبْقِ الْقَوَافِي مِشْعَلاً فَعَدَوْتَ فِي الْإِبْدَاعِ فُوحَ عَيْقِ
وَالْفَارِسَ الْمَعْوَارَ دُونَ مُنَازِعِ فِي سُوحِ هَذَا السِّفْرِ جِدَ خَلِيقِ
فَأَهْنَأُ بِمَا قَدْ نَلْتَهُ وَأَفْخُرُ بِهِ وَأَسْعَدُ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ بِحَقِيقِ

وسيوكد الشاعر الجراري أحقية الصقلي بإمارة الشعر بعد سنتين، حينما
كتب سنة 2013 قصيدة رأيية مطلعها⁽³⁾:

الْيَوْمَ مَجْلِسُنَا بِهِيَ نَيْرٍ وَالتَّادِي فِي حَفْلِ يَتِيهِ وَيَفْخُرُ

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 149.

(2) نفسه، صص، 149-152.

(3) نفسه، ص، 167.

وفيها يقول⁽¹⁾:

إذ أنت في شعراء عصرِكَ قائِدٌ وَرَعِيْمُهُمْ وَعَمِيْدُهُمْ وَأَكْرَرُ
هي بَيْعَةٌ قد كنتُ قبلُ كتبُها ودعوتُ في دَرْسِي لها وَأَبْرُرُ
واليوم فالنّادي الجراي بحفله والسَّعْدُ يَغْمُرُهُ يُنادي يُظْهَرُ
أنت الصِّقْلِي شاعرٌ فَرْدٌ له قِدْحٌ مُعَلَّى بالبدائعِ يَسْحَرُ
في المغربِ الأَقْصَى وَيَعْرَبُ كُلَّهُمْ في سائرِ الأوطانِ رَسْمُكَ يُنْشَرُ
فأهناً - أخي - بالتاجِ رُصِّعَ لَوْلَا ولأنّك بالإنّجاءِ أنتِ الأشْعَرُ

لقد توسل الشاعر الجراي بالمساجلة، لإعلان إمارة الشاعر علي الصقلي، ومن خلالها إعادة الاعتبار للإنتاج الشعري المغربي الذي عانى من التهميش، فنقل مشعل القيادة الشعرية من المشرق العربي إلى بلاد المغرب.

إن مبايعة شاعر أميراً في دولة الشعر والشعراء، أثارت - في المرحلة الحديثة منذ إمارة شوقي - لغطاً، وكان هناك الراضي والرافض. عارض الكثيرون إمارة أحمد شوقي، وبعد وفاته تنازعت أسماء عديدة حول اللقب، منهم عباس محمود العقاد، وأمين نخلة، وصلاح عبد الصبور، وبشارة الخوري (الأخطل الصغير)، لنجد في الجناح الغربي من العالم العربي، الشاعر مفدي زكريا يرى نفسه أحق بهذه الإمارة! وها هي اليوم يتربع فوقها صاحب النشيد الوطني، العلي الصقلي المغربي.

ولما كانت مساجلات الشاعر الجراي تجذب الطرف الآخر إلى الخوض فيما يطرحه من قضايا، فقد انبرى الشاعر علي الصقلي إلى

(1) من ديوان عباس الجراي، الجزء الثاني، ص، 168.

الإجابة، ورد الجميل لمن أمره في دولة الشعراء، مضيفاً على الجراري لقب «أمير البيان»، فقصد قائله⁽¹⁾:

أَمِيرَ الْبَيَانِ بِأَعْلَى سَرِيرِزٍ وَهَلْ لِلْبَيَانِ سِوَالِكِ أَمِيرِزٍ ؟
تَصَوُّغِ الزَّوَاهِي وَلَوْ مِنْ حَدِيدِ فَيَغْدُو الَّذِي صُغْتُهُ مِنْ حَرِيرِزٍ

جماع القول، أن المساجلة يمكن أن تتحول إلى قناة يشحنها الشاعر بمجموعة من القضايا الأدبية والنقدية، مما أَلَفَ المتلقي متابعته في الدراسات الأدبية التي تتوسل بالصناعة النثرية، وقدمت المساجلة الجرارية نموذجاً لذلك.

ويسمح فن المساجلة في المنجز الشعري الجَرَارِيّ بفتح زاوية أخرى يمكن أن تشكل مدخلا لكشف جانب آخر، يرتبط أساساً بشخصية الشاعر. فالمساجلة باعتبارها قناة للتواصل مع الآخر المتعدد، ومن خلال تواصلات تتباين في الزمكان، فإنَّ النص المنبثق من تلك اللحظات الشعرية، يرسم ملامح متعددة لمبدعه. من ثم جاءت مساجلات الجراري حاملة لبعض سماته.

تقدم المساجلة الجرارية ما يتمتع به الشاعر من نبل ودماثة الخلق، ورقة المشاعر، وبياض السريرة. تلمس ذلك حينما تحمل مساجلته إشادة بالآخر، ومساندة لمن يتلمس طريقه في درب كتابة الشعر. لننظر في مساجلة للشاعر مصطفى الشليح كيف انبرى إلى التنويه بالكتابة الأدبية لهذا المبدع شعراً ونثراً، فقال⁽²⁾:

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 193.

(2) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 62.

أَنْتَ الْمَوْفِيُّ لِحَقِّ فَاتٍ أَوْ لِحَقِّهَا يَا مُصْطَفَىٰ وَلِسَانُ الْقَلْبِ قَدْ نَطَقَا
بِالْحُبِّ تَسْكُبُهُ شِعْرًا وَتَنْثُرُهُ مِثْلَ الْأَزْهَرِ فَوَاحًا بِهِ عَبَقَا
فَالشَّعْرُ عِنْدَكَ مَعْشُوقٌ تُدَلِّلُهُ وَالنَّثْرُ نَفْثَةٌ سِحْرٌ صُغْتَهَا نَسَقَا
لَا ذَاكَ تَقْرُضُهُ وَزُنًا وَقَافِيَةٌ بَلْ كَأَمْنًا مِنْ سَجَايَا الرُّوحِ قَدْ بَسَقَا
أَمَّا الْمَقَامَاتُ إِنْ تَكْتُبُ صَحَائِفَهَا فَالْتَّبِرُ ذُؤُوبٌ وَلَيْسَ الْحَرْفُ وَالْوَرَقَا

شهادة من عميد الأدب المغربي في حق أحد شعراء المغرب المتميزين، صاغها الجرجاري طي مساجلة، وهي صادرة عن أكاديمي خبير بواقع الشعر العربي في المغرب، ولكنها في نفس الآن تتم عن روح أستاذ ومُربِّ متشبع بقيم إنسانية نبيلة، يصرفها بين مساجليه.

وبنفس القلم النبيل، سطر إشارات بالشاعر مصطفى الزباخ، منوهاً بكفاءته العلمية وبراعته الشعرية، فقال مساجلاً⁽¹⁾:

زَبَّاحُنَا أَضْحَىٰ أَسْمُهُ سَبَّاحَا وَالْبَحْرُ أَمْسَىٰ بِأَسْمِهِ فَوَّاحَا
إِذْ جَدُّهُ جَاَزَ الْمَسَافَةَ عَائِمًا بِشَجَاعَةٍ لَا يَخْتَشِي سَفَّاحَا
وَالْمُصْطَفَىٰ الرَّبَّاحُ قَافٍ نَهْجُهُ لَكِنْ بِيخْرِ مَعَارِفٍ قَدْ سَاحَا
وَكَذَا الْفَنُونِ بِشِعْرِهَا وَبِنَثْرِهَا وَأَسْأَلُ نِتَاجًا تَلْقَاهُ بَوَّاحَا

(1) من ديوان عباس الجرجاري، الجزء الثاني، ص، 88.

وتتجه الإشادة بالمساجل إلى إبراز شيم أخرى ذات بعد اجتماعي، على غرار ما نجد في مساجلة الجراري مع الشاعر عبد العزيز التويجري، حيث كتب العباس مثنياً على ما يتمتع به هذا العربي الأصيل من كرم حاتمي، ينم عن شرف الأرومة، وأصالة المحتد، وعلو الهمة، فقدم الجراري الشاعر التويجري إلى المتلقي في هذه الصورة، قال⁽¹⁾:

أَبَا نِزَارٍ وَإِنِّ سَابَقْتَنِي كَرَمًا فَالسَّبْقُ طَبَعُكَ لَا يَخْفَى وَذِي الشِّيمِ
عَوَّدْتَنَا زُرْدَاتٍ لَيْسَ يُشَبِّههَا مَا عِنْدَ حَاتِمِهِمْ أَنَّى لَهُ الْكَرَمُ
وَالْبَيْتُ عِنْدَكَ مَفْتُوحٌ لِنَزَائِرِهِ الْعُزْبُ أَنْتَ لَهُمْ قَصْدٌ كَذَا الْعَجْمُ
لَا زِلْتَ تَسْمُو إِلَى الْعَلِيَاءِ مُعْتَلِيًا أَعْلَى الْمَعَالِي فَذَاكَ الْعِزُّ وَالشَّمَمُ
لَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَسْوِقُ الْقَوْلَ فِيكَ ثَنَا فَأَنْتَ فِيهِ لَعْمَرِي الرَّأْسُ وَالْعَامُ

هذه المعاني التي ترشح بإعلاء كعب الصَّحْب، لا تصدر إلا عن روح تشربت شريف الأخلاق، ونفس درجت في مراتب النبل، ولا تنحصر تجلياتها في الإشادة فحسب، بل نلمسها كذلك في روح المساندة، حينما تكون مطلوبة، كما تبدى ذلك في المساجلة التي دارت بين الشاعر الجراري والشاعر مصطفى الطويبي، سبقت الإشارة إليها.

وتتخذ المساجلة الجرارية أحياناً منحى آخر، يُدخلها باب التواصل الاجتماعي، فتتظم المقطوعة الشعرية بنفَس رسالي، تسأل عن الحال، على غرار ما نقرؤه في مساجلته مع الشاعر أحمد السوسي التتاني، حين أجرى عملية

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، صص. 103-104.

جراحية على إحدى عينيه، ثم سافر إلى مراكش لقضاء فترة نقاهة، فدارت بين الشعارين مساجلة بالمناسبة حيث كتب التناهي معتذراً عن غيابه عن مجلس النادي الجرجاري وقال⁽¹⁾:

إن غبتُ عن مجلسك الشهير ولم أَرِدْ من مائه التَّمِيرِ
فأنت في فكري وفي فؤادي تحيلاً أشمُّ عطر التادي
مغذرتي أن كنتُ في مراكش أنشوق من رطوبة وهامش

فجاء جواب الجرجاري متضمناً السؤال عن الحال، والتطلع إلى الاجتماع بإخوان مجلس الجمعة، قال⁽²⁾:

فأقبل أخي عبارتي في الشكر مع الدعاء دائماً في الذكر
حتى تكون مُنعماً بعافية ما عانيت للعيون شافية
أما أجمع التادي بالاخوان فهو المشوق للقاء التناهي
لشعر تُنشده للأسماع يطربها حثاً على الإمتاع
ترجو جميعاً عودة حميدة إلى الديار بسلا المجيدة

بهذه الروح تكشف المساجلة عن تواصلات الشاعر الجرجاري الاجتماعية، وينسج القصيد ملامح من طبيعة هذه الشخصية في بعدها الإنساني، بل إن هذا

(1) من ديوان عباس الجرجاري، الجزء الثاني، ص، 157.

(2) نفسه، ص، 159.

التواصل الاجتماعي، نجده يتسع أكثر في مساجلات آخر، ليشمل الحديث عن أسرة من يساجله، زوجة وأبناء وأحفاداً، وهو الجانب الذي رسمته المساجلة الأنجولاسية في بعض أجزاءها.

ومن إهاب المساجلة الجراحية، تنبلج صورة أخرى للشاعر قد لا يعرفها الكثيرون.

والشعر كشّاف، من ثم يضع قارئ مساجلات عباس الجراري يده على جانب خفي من شخصية الرجل. يتمثل ذلك في الروح المرحة التي تسكن أعماق هذا الشاعر.

تبرز هذه الروح في نصين أساسيين، ساجل الأول الشاعر البحريني عبد الرحمان رفيع، وخاطب الثاني الشاعر السعودي عبد العزيز التويجري، دون أن يعني ذلك، غياب هذه الروح في نصوص أخرى، ولكنها أجلى في هذين.

كتب عبد الرحمان رفيع قصيدة بعنوان: «حفلة رقص»، رسمت حالة الشاعر الذي وجد نفسه بين حُور تفتّت منهن قلبه فتّاتاً، بيد أن الشاعر/الشيخ لا حول له ولا قوة، فدوّن شكواه شعراً وقال⁽¹⁾:

أَحُوراً ما أراه أم بَنَاتَا فَلَمْ أَرِ مِثْلَ حُسْنِهِمْ بَنَاتَا
إِذَا قَامُوا لِمَشْيٍ أَوْ لِرُقْصٍ تَفْتَّتَ مِنْهُمْ قَلْبِي فُتَاتَا
رَأَيْتُهُمْ فَحُتُّ عَلَى شَبَابِي وَسَيْفٍ فِيَّ قَدْ عَشِقَ السُّبَاتَا

(1) أنظر النص الكامل في الجزء الثاني من ديوان عباس الجراري، ص، 183.

إلى آخر القصيدة التي ترسم حالة عجز عند هذا الشاعر، قدمها في طابع ساخر. فعمد الشاعر الجراري إلى إجابته، موسيماً وساعياً إلى استنهاض همته، زارعاً في نفسه الأمل بعودة الروح، وقال مخاطباً⁽¹⁾:

تمهل يا رفيع، أنج الثَّباتا فليس الغمض في عين ماتا
تَصَبَّرْ لا تكن عجلاً بيأسٍ فإن الله قد يحيي المواتا
ويعثُّ في الجمادِ الرُّوحَ حتَّى كأنَّ البيدَ قد تغدو فُراتا
دَعِ الشَّكوى لِلَّيْلِ أوِ بِهِمَّ وَقُمْ تُحْيِي الذي في الظَّنِّ فاتا

واستمر الجراري في مُداعبته، يبت الأمل في نفس الشاعر عبد الرحمان رفيع، ويبعد عنه حديث الموت، محوِّلاً شعيرات المشيب إلى نُورٍ كالذي في القضب الرطيب⁽²⁾.

وزاد مُزاحاً⁽³⁾:

وَحَلَّ الموت جنباً من حديث وَلَا تُعْلِسْ عَزَاءً أوِ وفاءة
مخافة ما بدا لك من مشيبٍ فهو لمثل سبتك قد يُواتي
فإنَّ الشيب للشبان بدءٌ وما كان الختام به ختات

(1) أنظر النص الكامل في الجزء الثاني من ديوان عباس الجراري، ص، 188.

(2) إشارة إلى قول الشاعر ابن الرومي:

قد يشيب الفتى وليس عجيباً أن يرى النور في القضب الرطيب

(3) أنظر النص الكامل في الجزء الثاني من ديوان عباس الجراري، صص، 189-188.

لقد كتب الشاعر الجراري هذه القصيدة مُفاكها، وبهذه الروح خاطب الشاعر عبد العزيز التويجري حينما عمد هذا الأخير إلى إسدال لحيته، أخذت شكل ما يعرف بـ «اكويدما» اتخذها الشاعر مادة لصياغة مساجلته، فقال⁽¹⁾:

وَجْهَ التَّوَيْجِرِيِّ أَرَى فَمَا لَهُ مَغْيِرًا
مَعْرِفًا أَعْرَفُهُ فَصَارَ لِي مَنْكِرًا
بِلِخِيَةٍ قَدْ كَشَفْتُ مَشِيْبَهُ الْمُسْتَرًّا
زَعْبَاهَاكَ (قَرْشَلٍ) أَوْ نَبْتَةٍ فَوْقَ الثَّرَى
(كُوَيْدِمَا) صَغِيرَةٌ مَع (شَارِب) غَطَّى الْعَرَا
قَدْ غَيَّيْتُ مَلَامِحًا كَانَتْ تَفُوقُ الْقَمَرَا

وعلى هذا الإيقاع الفكاهي ينسج التويجري جوابه فيقول⁽²⁾:

عَبَّاسُ تِلْكَ لِحِيَةٌ جَدِيدَةٌ كَمَا تَرَى
وَمَاهَا عَاقِلَةٌ بِالذِّينِ حَاشَا الْإِفْتِرَا
وَأَنْتَ مَا وَجَاهَةٌ بِالشَّيْبِ بَعْدَمَا طَرَا
فَقَدْ سَيِّمْتُ حَلْقَهَا وَالجُرُوحُ مِنْهُ مَا بَرَا
وَلِحِيَّتِي خَفِيْفَةٌ تُبْدِي جَمَالًا آخِرَا

(1) من ديوان عباس الجراري، الجزء الثاني، ص، 116.

(2) أنظر النص الكامل في الجزء الثاني من ديوان عباس الجراري، ص، 119.

هذا النمط من المساجلات، رسم لنا جانباً من شخصية الشاعر عباس
الجراري، الإنسان المرح، الذي يبني دعابته الشعرية، على المفاكحة الجميلة، يرسلها
بين خلانه، متوسلاً بالعبارة الصادقة، المشبعة بالعواطف النبيلة.

وإذا كانت المساجلات الشعرية الجراحية، قد أطلعنا على جوانب يستكمل
بها الدارس صورة الجراري الشاعر، فإن الملاحظ بعد قراءة هذا المتن، أن شعر
المساجلات في المنجز الشعري الجراري، قد تنكب بعض المواضيع التي ألفناها
في هذا النمط من القريض، يتبادلها الشعراء فيما بينهم فيما يكتبون من نتف أو
مقطعات أو قصائد.

لقد غاب عن مساجلات الجراري موضوع الألغاز، الذي كان شيئاً مألوفاً
عند الشعراء المغاربة منذ القديم⁽¹⁾. ربما بدا للشاعر أن التلغيز لم يعد سائغاً في
مرحلتنا المعاصرة؛ كما أجمت مساجلاته عن الخوض في مسائل لغوية ونحوية، ما
كان يغري الشعراء القدماء، فيتساجلون حولها ويطيلون في الشرح والأخذ والرد.
وبقدر ابتعاد المساجلات الجراحية عن مثل هذه المواضيع بقدر ما كانت إشاحة
صاحبها عن جعلها حلبة لاستعراض الصنعة الكلامية، كما تطالعنا خصيصة أخرى،
تتمثل في ابتعاد هذه المساجلات عن القديع من الكلام، الذي كان يتسرب إلى
مساجلات بعض الشعراء المغاربة، إلى درجة يقترب فيها الحوار الشعري، عن
بعضهم، من الإسفاف⁽²⁾.

وتأسيساً على ما بسطنا القول فيه، نجد أن المساجلات عند عباس الجراري،
لم تكن رصفاً لكلمات باردة، ولا رصاً ألفاظ خواء، بل نسيجاً شعرياً مليء مشاعر

(1) أنظر في هذا الباب كتاب « الموجز في الشعر الملغز: جمع ودراسة » للدكتور السعيد بنفرحي.

(2) أنظر « المساجلات الشعرية في العهد اليوسفي»، ضمن كتاب « دراسات في الأدب العربي بالمغرب الحديث»،
محمد احميدة، ج 2، ص 5.

صادقة، حملت طيها قيما إنسانية نبيلة، وطرحت قضايا، ورسمت في نفس الآن،
قسماً لشخصية متفتحة، لها تواصلات اجتماعية متعددة، لم تنحصر في حدود
الوطن، بل تجاوزت إلى آفاق أرحب وأوسع.

بقي سؤال عالق، قد يحير أفق انتظار المتلقي؟

لماذا غيّبت المساجلات الجراحية صوت الشواعر؟ لا صدى للصوت
النسائي الشاعر ضمن المتن الذي تمت محاورته! علماً أنه قيلت في عباس الجرامي
عدة قصائد بإيقاع المؤنث، إشادة واعتزازاً وتقديراً!

مع الشاعر الإماراتي الدكتور مانع سعيد العتيبة⁽¹⁾

(1) الدكتور مانع سعيد العتيبة، شاعر إماراتي، شغل منصب المستشار الخاص، لصاحب السمو رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله. كما شغل منصب وزير البترول والصناعة في دولة الإمارات. له عدة دراسات اقتصادية منها كتابه «اقتصاديات أبو ظبي قديماً وحديثاً»، و«البترول واقتصاديات الإمارات العربية المتحدة»، وهو موضوع أطروحته للحصول على الدكتوراه. أصدر الدكتور العتيبة عدة دواوين شعرية ضمت قصائد في مختلف الأغراض، كما أنه كتب الشعر المعرب والعامي.

جرت بين الشاعر الدكتور عباس الجراري والشاعر الإماراتي الدكتور مانع سعيد العتيبة عدة مساجلات في مناسبات مختلفة منها هذه المساجلة التي أسماها الجراري «المساجلة الطائرة أو الجوية» بين الدار البيضاء وأبي ظبي، وشارك فيها الشاعر لاراباس ماء العينين، والأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة.

المساجلة الطائرة (أو الجوية)

بين الدار البيضاء وأبي ظبي

بدعوة كريمة من الإمارات العربية المتحدة، اتجه وفد يضم نخبة من المثقفين المغاربة إلى أبي ظبي، لحضور احتفالات هذا البلد الشقيق بعيدة الوطني.

واستمرت الضيافة من الأربعاء 15 رجب 1414هـ الموافق فاتح دجنبر 1993 إلى الخميس 23 رجب الموافق تاسع دجنبر، وكان الذهاب والإياب على متن طائرة إماراتية خاصة. وأثناء الرحلة التي كانت طويلة بين الدار البيضاء وأبي ظبي، فتح الجراري الحديث مع الجالس إلى جانبه بمتكآت الدرجة الأولى، وكان شيخاً وقوراً، فتبين أنه شاعر بالنبطي - أي بالشعر العامي - المعروف في دول الخليج. ثم لم يلبث أن عترف بنفسه، وأنه والد الدكتور مانع سعيد العتيبة. وحين سألته عن أحواله، قال لي، إنه جالس خلفي، هو وزوجته.

وإذ لم أكن انتبهت إليه، التفت وسلمت عليه وتبادلت معه ما تقتضيه
مجاملة المناسبة، وبعد هنيئة بعثت له بطاقة خاطبته فيها بهذه الأبيات⁽¹⁾:

يَا شَاعِرَ الشَّقِيقِ الْحَبِيبِ وَغَرَةَ الْأَدَبِ الْأَرِيبِ
حَيِّتَ - جَوْأً - وَالثُّقُوبَ سُبُهْفُوهَا نَحْوَ الْقَرِيبِ
هَازِي الْوُفُودِ إِلَى الْإِمَا رَةَ شَوْفَهَا حَزَّ هَيْبِ
لِتُشَارِكَ الْإِخْوَانَ فَر حَةَ عِيدِ وَطَنِهِمِ الْحَبِيبِ
هُوَ وَطَنُنَا نَدْعُو لَهُ بِالْعِرِّ وَالنَّصْرِ الْمَهِيْبِ
وَيَدُومُ زَائِرُهُ عَلَى حُبِّ نُبَادِلُهُ سَكِيْبِ

(1) كتبت بتاريخ 1 دجنبر 1993.

فلم يلبث أن أجابني بأبيات كتبها على ظهر بطاقته الشخصية، وهي:

جَاءَنِي قَوْلٌ عَجِيبٌ مِنْ مَعَارِنَا الْحَبِيبِ
فِيهِ رِيحَانَةٌ وَوَرْدٌ حَرْفُهُ يُنْضَحُ طِيبٌ
مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ هَذَا فِي الْإِمَارَاتِ قَرِيبِ
وَلَهُمْ طَابَ مَقَامٌ بَيْنَ أَهْلِ وَنَسِيبِ
أَنْتَ يَا عَبَّاسُ فَاسْلَمْ إِنَّكَ الْفَدُّ الْأَدِيبِ

فكان أن تحرك بعض أعضاء الوفد للمشاركة على هذا النحو:

قال الشيخ ماء العينين لاراباس⁽¹⁾:

«تحية تقدير»

أَكْرَمَ اللَّهُ مَانِعاً بِالدَّوَامِ وَحَبَاهُ الْجَمِيلَ بَيْنَ الْأَنْامِ
أَكْرَمَ الزَّائِرِينَ فَضْلاً وَمَتاً وَلَقَاهُمْ بِالْبِشْرِ عِنْدَ السَّلَامِ
فَهُوَ نَذْبٌ مُهَذَّبٌ وَعَظِيمٌ وَكَرِيمٌ شَهْمٌ وَنَجْلٌ كِرَامِ
دَامَ حِلْفُ الْعُلَايِصُوتِ عُهوداً بَيْنَنَا يَرْتَقِي أَجَلَ مَقَامِ

فأجابه الدكتور مانع سعيد العتيبة قال:

لَكَ شُكْرِي وَسَلَامِي وَدُعَايَ وَأَحْتِرَامِي
أَنْتَ يَا شَيْخَ جَلِيلٍ بَارِزٌ بَيْنَ الْأَنْامِ
جُمِعَتْ فِيكَ الْمَزَايَا ظَاهِرَاتٌ بِأَنْسِجَامِ
قَاضِياً وَالْعِلْمُ أَصْلٌ وَبَلِيغاً فِي الْكَلَامِ
مَنْ حَبَاهُ اللَّهُ هَذَا إِزْتَقَى فَوْقَ الْعَمَامِ

(1) لاراباس ماء العينين من شعراء الصحراء المغربية المعاصرين. قال في أغراض شعرية متنوعة كالمديح النبوي والشعر الوطني، وله أشعار كثيرة في الدفاع عن قضايا الوطنية، وخاصة قضية الصحراء المغربية. تولى منصب رئاسة المجلس العلمي المحلي لمدينة العيون.

فَعَقَّبَ الشَّيْخُ لِرَابِاسٍ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

لَكَ وَاللَّهِ أَحْتَرَامِي إِذْ أَنْتَ تَرْفَعُ هَامِي
شَغْرَكَ الْعَدْبُ وَأَفَانِي وَبِهِ يَشْدُو حَامِي
سَلِسٌ يَنْسِي وَيُشْفِي لِلأَيْمَنِ الْمُسْتَهَامِ
أُقْسِمُ بِاللَّهِ أَنْتُمْ لِمُقَنَّنِي حَنَامِ
فَوْقَكَ اللَّهُ دَوْمًا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَرَامِ

ثم قال السيد عبد الوهاب بنمنصور⁽¹⁾:

أَلَا حَيَّ الْعُتْبِيَّةَ وَالْعَرُوسَا وَحَيَّ شَمَائِلًا تَسْبِي النَّفُوسَا
وَحَيَّ الشَّعْرَ يُطْرَبُ سَامِعِيهِ وَيُنْفِي عَنْ وُجُوهِهِمُ الْعُبُوسَا
فَتَى قَدْ زَانَهُ أَدَبٌ وَعِلْمٌ وَفَكَرُّ نَيْرٍ بَدَّ الشُّمُوسَا
سَعِيدٌ يُسْعِدُ الْأَصْحَابَ طَبْعًا فَلَا بُؤْسَى يَرُونَ وَلَا نُحُوسَا
وَيَنْعُ جَارَهُ مِنْ كُلِّ ضَمِيمٍ وَيَبْدُلُ فِي حِمَايَتِهِ النَّفِيسَا
إِذَا مَا حَلَّ فِي قَوْمٍ تَبَاهَوْا بِأَفْجَادٍ لَهُ وَحَنَؤَا رُؤُوسَا
فَدَامَ رَجِيٌّ بَالٍ فِي هِنَاءٍ يَشِيدُ الصَّرْحَ أَوْ يَسْقِي الْعَرُوسَا

(1) من مواليد مدينة فاس في 17 نونبر 1920، توفي رحمه الله بتاريخ 12 نونبر 2008. تولى ذ.عبد الوهاب بن منصور عدة مهام، منها: مدير عام للإذاعة والتلفزيون، سنة 1965، وفي سنة 1967 عين محافظاً لضريح محمد الخامس بالرباط، ثم مديراً للوثائق الملكية 1975. والأستاذ ابن منصور عضو أكاديمية المملكة المغربية. له مؤلفات عديدة، منها: قبائل المغرب، كشف الأسر المغربية، أعلام المغرب العربي... ومن تحقیقاته: تحقیق کتاب « الإعلام بن حل مراكش وأغامت من الأعلام » لعباس بن ابراهيم.

ونظراً لطول مدة الرحلة، وما كان يتطلب من وقوف بعض الركاب للتحرك داخل الطائرة، مع ما يقتضي ذلك من تقديم بعض الطلبات، تكوّن جو أليف وحميمي، جعل الدكتور العتيبة يدخل في حوار مع المضيّفة - الأناثة كريمة - أثار فيه بعض الشعر، فظهر له أنها لا صلة لها به، فقال:

الشّعْرُ لَا تَعْرِفُهُ كَرِيمَةَ لِأَنَّهَا تَقَمَّصَتْ حَلِيمَةَ
قَالَتْ دَرَسْتُ فِي مَدْرَسَةٍ دُرُوسُهَا حُرُوفُهَا ذَمِيمَةَ
لُغَةَ النَّصَارَى وَخَدَهَا تَعْرِفُهَا وَالْعَرَبِيَّةَ عِنْدَهَا عَتِيمَةَ
مَا هَكَذَا عِلْمُ الْمُضِيفَةِ عِنْدَنَا إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَكُونَ سَلِيمَةَ
فَتَعَلَّمِي لُغَةَ الْعُرُوبَةِ إِنَّهَا بَيْنَ اللُّغَاتِ جَمِيلَةٌ وَوَسِيمَةَ

فَأَلْتَمَسْتُ مِنَ الْجَرَارِيِّ أَنْ يُجِيبَ عَنْهَا، فَقَالَ:

نَعَمْ صَدَقْتَ الْقَوْلَ يَا سَعِيدُ يَا سَيِّدِي وَالشَّاعِرُ الْفَرِيدُ
فَالشُّعْرُ لَا أَعْرِفُهُ قَصِيداً أَشَدُّ بِهِ وَالْحُرُّ وَالنَّشِيدُ
وَالضَّادُ لَمْ أَدْرُسْ بِهَا لَكِنِّي عَنْ حُبِّهَا لَسْتُ أَرَى أَحِيدُ
وَعَنْ عَقِيدَتِي وَكُلِّ قِيَمِي وَعَنْ غُرُوبَتِي الَّتِي بَعِزَّهَا أَمِيدُ
فَحُبُّهَا فِي الْقَلْبِ وَالرُّوحِ عَدَا أَقْوَى مِنْ أَيِّ لُغْوٍ يَا سَعِيدُ

كذلك نظر الدكتور العتيبة إلى طفلة صغيرة كانت تبكي في الطائرة وهي في
حضان أمها، واسمها « أميرة »، فقال:

هَذِهِ أَلْوَزْدَةُ الصَّغِيرَةُ فِي بُكَاهَا مُسْتَجِيرَةٌ
تَطْلُبُ اللُّهُوَّ وَتَشْتَى وَهِيَ فِي الْأَيْدِي أَسِيرَةٌ
وَلَهَا أُمٌّ حُنُوبٌ فِي رِعَايَتِهَا قَدِيرَةٌ
فَلِكِ مَيِّ سَلَامٌ يَا فَتَاتِي يَا أَمِيرَةَ

فطلب من الجراري أن يعقب فقال:

بِنْتِي أَمِيرَةَ يَا حَبِيبَةَ يَا وَدُودُ
يَا بَاقَةَ فَوَاحَةً بِشَدَا أَلُورُودُ
وَصَلَتْ قَصِيدَتِكَ الْجَمِيلَةَ مُفَعَّمَا
تِ كُلُّ أَحْرَفِهَا الشَّرُودُ
بِالْحُبِّ جَاءَتْ مُفْصِحَا
تِ رُوحَهَا الشُّوقُ السَّهِيدُ
وَهَيْبُهُ فِي الْقَلْبِ يَعُ
صِرْ، وَالذُّمُوعُ عَلَى آخِذُودُ
لَا تَجْزَعِي يَا فَلَنْدُ إِنِّي عَائِدُ
لِلْعُشِّ لِلْوَكْرِ السَّعِيدُ
تَحْدُونِي رَغْبَةً لُفِيَّةُ
وَلَكِ الرِّضَا مِنِّي سَدِيدُ

ثم كان بعد ذلك، وفي نهاية الرحلة، أن خاطب الدكتور العتيبة بقصيدة
« حَيِّ لِلْعَتِيْبَةِ دَائِمٌ » التي وردت في الجز الأول من الديوان⁽¹⁾ (للمناسبة).

(1) من ديوان عباس الجراري، ج 1، ص 157.

وفي سياق الشكر كذلك قال الشيخ لاراباس⁽¹⁾:

أَكْرَمْتَ دُمْتَ حَلِيفَ الْمَجْدِ أَعْلَامًا جَزَاكَ رَبِّي إِكْرَامًا وَإِنْعَامًا
وَدُمْتَ يَا مَانِعًا لِلْحَبِّ مُعْتَمِدًا وَالْمُعَادِي مَدَى الْأَيَّامِ إِزْعَامًا
عَدَيْتَ بِالْحُفْلِ وَالشَّعْرِ الْجَمِيلِ أَيَا عَتَيْتَ الْفَضْلِ أَرْوَاحًا وَأَجْسَامًا
مَلِكُنَا الْحَسْبُ الثَّانِي أَمَدًا لَنَا فِي عُمْرِهِ رَبُّنَا مَتًّا وَإِكْرَامًا
يُجِبُّ ذَا الشَّعْبِ أَفْرَادًا وَمُجْتَمَعًا وَقَادَةَ سَاهَمُوا فِي الْخَيْرِ إِسْهَامًا
جِئْنَا نُشَارِكُ الْإِتِّحَادَ فَرْحَتَهُ فِي الْعِيدِ دَامَ قَوِيَّ الرُّكْنِ أَعْوَامًا
إِنَّ الْمَجِبَّ إِذَا سَرَ الْحَيْبَ فَلَا يُلَامُ إِنْ شَادَ الْحَانَ وَأَنْعَامًا
نَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ تَبْقَى مَوَدَّتُنَا مَوْصُولَةَ الْحَبْلِ إِيْمَانًا وَإِسْلَامًا

(1) كتبت هذه المقطوعة في «أبو ظبي»، الإمارات العربية المتحدة يوم 7 دجنبر 1993.

وبعد مدة من انتهاء الرحلة والعودة إلى المغرب، وبالضبط في شهر رمضان المبارك من العام نفسه، بعث الدكتور العتبية للجراري بهدية، فأجابه بهذه الرسالة والقصيدة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه
إلى الأديب المبدع الشاعر المتفنن القدير معالي الأخ الكريم والزميل الفاضل
الأستاذ الدكتور مانع سعيد العتبية حفظه الله ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، فقد وصلنتي آخر ليالي شهر رمضان المبارك هديتكم القيمة، المتمثلة في كيس من « العود» المعروف عندنا بـ« العود القماري»، فلم أجد لشكر أريحيتم غير هذه الأبيات التي أرجو أن تنظروا فيها بعين الرضى والقبول، مشفوعة بأخلص التهاني لكم بعيد الفطر السعيد⁽¹⁾:

يَا سَيِّدِي فَاحِ الْأَرِيحُ مُعْطَرًا	مِنْ وَقْدِ «عُودِكُمُ الْقَمَارِي» أَزْهَرَا
أَهْدِيئُمُونِي عِطْرَهُ وَشَمِيمَهُ	لَوْ غَيْرِكُمْ أَهْدَى لَكَانَ مُقْصِرَا
مَنْ مِثْلُكُمْ نَالَ الْفَضَائِلَ وَالنَّمَى	وَأَشَاعَ فَوْحَ نَدَا جَنَاهُ عَلَى الْوَرَى
فَالطَّيْبُ لَا يَهْدِيهِ إِلَّا طَيْبٌ	طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ وَكُرِّمَ مَعَشَرَا
فُقِّمَ بِطَيْبِكُمْ الْأَطْيَابُ جُمْلَةً	إِذْ أَنْتُمْ خَيْرُ الْكِرَامِ وَمَنْ قَرَى

(1) كتبت هذه القصيدة في الرباط، صباح الأحد ثالث شوال 1418هـ الموافق فاتح فبراير 1998.

قَدْ ضَاعَ يُعْرَبُ عَنْ نَيْلِ سَجِيَّةٍ
 يَا مَا جِدًّا سَامَى الْأَمَاجِدَ كُلَّهُمْ
 أَعْصَابُ مَجْدِكَ لِلْعَلَاءِ بُسُوفُهَا
 أَنْتَ الَّذِي بَهَّرْتَ مَحَاسِنُ خِيَمِهِ
 أَطَلَّتْ وَسَطَ سَحَابٍ مُسَوَّدَةٍ
 سِيَانٍ فِي الْخَيْرَاتِ مَا تَخْتَارُهُ
 يَا مُسْعِدَ الْأَحْبَابِ وَالْقَرْمُ الَّذِي
 أَنْظَرُ رَكَائِبِهِمْ كَذَلِكَ مَوَاكِبًا
 حُبُّ الْعَتِيَّةِ فِي الْقُلُوبِ تُكِنُّهُ
 سَارَتْ بِذِكْرِكَ وَالشَّنَاءِ عَلَيْكُمْ
 الْحَالُ تَفْصِيحُ وَاللِّسَانُ مُقْصِرٌ
 لَأَزَلْتُ فِي عَلَيْكَ بَدْرًا سَاطِعًا
 أَنْتَ الْمُؤَمَّلُ وَالْمُكْرَمُ قَضْدُهُ
 شُكْرِي لِغَلِيكَ قَاصِرٌ فِي قَوْلِهِ
 قَاهِنًا بِمَا لَكَ فِي آلُورِي مِنْ سُودِدٍ
 بَحْرًا يَفِيضُ لِأَيْنًا أَوْ جَوْهَرًا
 فَأَبَتْ لَهُ الْعَلِيَاءُ أَنْ يَتَحَدَّرَا
 فِي مَنْبِتِ الْأَمْجَادِ عِزِّكَ أَثْمَرَا
 إِذْ كُنْتَ دَوْمًا بِالْمَفَاخِرِ أَجْدَرَا
 كُنْتَ الْمَفْرَجِ غَيْمَهَا وَالْأَقْمَرَا
 إِنَّ شِدَّتَ سِرًّا أَوْ تَشَاءَ نَجْهَرَا
 سَيَقُتْ لَهُ كُلُّ النَّفُوسِ تَحْتِيزَا
 هَذَا بِتَهْلِيلٍ وَذَلِكَ مُكْتَبِرَا
 بِالْجُودِ أَحْيَا يُبْسَهَا وَالْأَخْضَرَا
 كُلُّ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ أَمَا تَرَى؟
 وَالشَّعْرُ أَذْنَى مَا لَدَيْ مُعْتَبِرَا
 وَالسَّعْدُ يَزُمُّكُمْ خَطُوكُمْ أَنَّى سَرَى
 أَنْتَ الَّذِي بِجَمِيلِ فَضْلِ أَصْدَرَا
 فَلَعَلَّ نُبْلَكَ أَنْ يَعُضَّ وَيَعْدُرَا
 وَمَعَ الْإِلَهِ تَرَى الْجُزَاءَ الْأَوْفَرَا

مع شاعر الرقراق الدكتور مصطفى الشليح⁽¹⁾

(1) الدكتور مصطفى الشليح من شعراء المغرب المعاصرين، ولد بمدينة سلا بتاريخ 5 يناير 1956 حاصل على دكتوراه الدولة في الأدب العربي من كلية الآداب، جامعة محمد الخامس بالرباط، سنة 1992. من دواوينه الشعرية: « وماء العراق يشربه القصف » سنة 1999، «عابر المرايا» 1999، « كأن التَّهر امرأة لا تنام » 2012، « في ألف رباعية.. ورباعية»، 2012، « هو العابر الرائي»، 2013، « وصايا لا تلزم أحداً»، 2014.

من الشعراء المغاربة الذين كانت لهم مساجلات عديدة مع الأستاذ عباس الجراري، الشاعر السلوي الدكتور مصطفى الشليح؛ أحد أعضاء النادي الجراري. ففي إحدى جلسات «مجالس الجراري الأدبية» التي تعقد في ناديه عصر كل جمعة، قرأ الدكتور مصطفى الشليح مقامة بعنوان «مقامة الاغتباط بذكر ما جرى بين سلا والرباط»⁽¹⁾ وتم ذلك يوم الجمعة 3 ماي 1996. وأدار الشاعر السلوي مقامته حول الشعر المغربي بشكل عام، وانعطف الحديث إلى ذكر بعض الشعراء المغاربة ومنهم شعراء العدوتين: الرباط وسلا. ووردت ضمن هذه المقامة أبيات شعرية للأستاذ الشليح يقول فيها:

إِنِّي سَأَلْتُ الْقَوَافِي وَهِيَ حَائِرَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَمَّا كَانَتْ مِنْ أَمْرِ
عَنْ رَبَّةِ الشَّعْرِ وَالْأَنْسَامِ مَائِسَةٌ بِمَا لَدَيْهَا مِنَ الْأَنْعَامِ وَالشَّعْرِ
أَعِنْدَ صَدْرِكَ تَغْفُو وَهِيَ طَارِحَةٌ عَنْهَا مَجَاسِدَ صَوْتٍ أَمْ عَلَى صَدْرِي ؟
فَجَاوَبَتْ وَالتَّمِيرُ الْحُرُّ مُبْتَدِرٌ أَنَا عِيُونَ الْمَهَامِ مِنْ دُونِهَا جِسْرُ
الْعُدْوَتَانِ خِبَاءٌ لِي يُطَرِّزُهُ فَيَتِيَابُ قَافِيَةٍ بِالْأَنْجُمِ الْعُرِّ
لَكِنِّي قَدْ أَمُدُّ الظِّلَّ مِنْ وَهٍ عَلَى سَلَا حَيْثُ يَرْسُو مَرْكَبُ الْفَخْرِ
قَدْ صِرْتَ مِنْهَا جَمَالاً عَزَّ مُطْلَباً وَلَيْسَ يُدْرِكُهُ، مِنْ عِرِّهِ، غَيْرِي

(1) انظر نص المقامة في كتاب « من تاريخ الأندلس الأدبية في المغرب: النادي الجراري بالرباط لمؤسسه العلامة عبد الله الجراري، محمد حميدة، منشورات النادي الجراري، رقم 28، ط، 1، 2004.

وَصَارَ مِنِّي الَّذِي مَا قَالَ قَافِيَةً
مُوشِحاً وَمِنَ التَّارِيخِ غَرْتَهُ
يَا رَائِقَ الشِّعْرِ عِنْدِي الْيَوْمَ مَسْأَلَةٌ
مَا الْقَوْلُ أَمَّا عِيُونُ الْقَافِيَاتِ رَأَتْ
حَسَنَاءَ إِلَّا وَهَامَ السِّحْرِ بِالسِّحْرِ
وَمَا سَلَا غَيْرُ تَارِيخٍ مِنَ الشِّعْرِ
قَدْ جِئْتُ أَعْرِضُهَا مِنْ دُونِهَا سِرٌّ
بِأَنَّهَا لِرِبَاطِ الْفَتْحِ لَنْ تَسْرِي؟

فجاء جواب عباس الجراري طي هذه الرائية، قال (1):

مَهْلًا أَيَا مُصْطَفَى تُلْقِي مُسَاءَلَةً لِرَبِّةِ الشَّعْرِ عَنِ إِبْدَاعِهَا الدَّرِي
هَلْ نَبَعُهُ فِي رِبَاطِ الْفَتْحِ أَمْ بِسَلَا؟ وَهَلْ بَرُوضُهُمَا مِنْ أَنْجُمِ زُهْرٍ؟
إِنِّي - عَلَى الْعِلْمِ - لَا أَبْغِي مُفَاضَلَةً وَلَا أَسْتَبَاقًا إِلَى الْمَيْدَانِ إِذْ أُدْرِي
أَبَّ الشُّعُورِ بِمَا يُوجِيهِ دَافِقُهُ فِي الصِّفَتَيْنِ عَدَا رَفْرَافُهُ يَسْرِي
لَا أَبْتَغِي ذِكْرَ فُرْسَانٍ لَنَا رَحَلُوا بِالْعُدُوتَيْنِ عَدَا فِي الْمَدِّ وَالْجُزْرِ
يُنْقَادُ شَعْرُهُمْ سَلْسَاءً بِلَا كَلْفٍ تَرْدُ أَصْدَاءَهُ آفَاقُ ذَا الْبَحْرِ
وَالْيَوْمَ مَاذَا الَّذِي تَبْغِي أَخَا فَنٍ وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الشَّعْرَ فِي دَحْرِ
فَمُنْدُ قَيْلٍ بِأَبِّ الْقَارِضِينَ لَهُ فِي الْعُرْبِ أَرْبَعَةٌ مَنْ مِنْهُمْ يَجْرِي؟
أَيَقْنُتُ أَبَّ الشَّعْرِ الْيَوْمَ غَالِيَهُ إِلَى الشَّعِيرِ أَنْتَمَى أَوْ قُلْ إِلَى الْعُهْرِ
مَا عَادَ نَاظِمُهُ يَسْبِي الْعُقُولَ وَلَا لِلْمُوحَشِينَ أُنَيْسَ الْمَهْمَةَ الْقَفْرِ
قَدْ كَانَ لِلْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ بَلْسَمُهُ مِرَاةَ عِشْقِ الَّذِي لَمْ يُفْضِ بِالسِّرِّ
لَكِنْ: لِخَالِصِنَا لُطْفٍ وَرَاضِينَا إِنَّ أَنْشَدَ الْوَطْنَ الْعَالِي فِدَا الْعُمْرِ

(1) كتبت هذه القصيدة يوم الجمعة 21 ذي الحجة 1416هـ الموافق 10 مايو 1996م.

كَذَا لِعُثْمَانَ كَمْ هَزَنِي مَدْحُهُ
أَمَّا الْفَقِيهُ الَّذِي زَجُّو تَأْدِبُهُ
وَأَمَّا غَارِي الْعُلَا فَالْتَقْدُ هَاجِسُهُ
كَذَلِكَ مُحْتَارِنَا إِثْ شَاءَ أَرْسَلَهَا
وَأَنْتَ يَا شَاعِرَ السَّلْوَانِ هَلْ تَدْرِي
وَفِي مَقَامَتِكَ الْغَرَاءِ لِي أَمَلٌ
قَدْ حَزَكَ الشَّجْوَ إِذْ جَاشَتْ خَوَاطِرُهُ
يَأْتِينِي طَوْعًا فَلَا أَعُو لَهُ نَصَبًا
وَلَمْ أَكُنْ أَبْدَأُ بِالشَّعْرِ مُحْتَفَلًا
وَلَا سَعَيْتُ بِهِ أَرْجُو الْوُصُولَ وَلَا
يَكْفِينِي رَبْعِي أَنْ يُرْهَى بِأَرْبَعَةٍ
فَإِنَّكُمْ فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ أَجْمُمَهَا
فَلْتَزَفَعُوا بِهِمَا لِلْقَوْلِ الْوَيْتَةَ
وَلْتَعَامُوا أَنْكُمْ لِلْوَطَنِ مَفْخَرَةٌ
لِكُلِّهِمْ قَدْ دَنَتْ أَقْطَافٌ مِنْ شِعْرِ
لِحُكْمِهِ غَافِلٌ عَنْ كُلِّ ذَا الْأَمْرِ
وَأَبْنُ الصَّغِيرِ لَهُ أَقْبَاسٌ مِنْ نُورِ
نَفْثَاتٍ مِنْ نَسَمِ الصَّخْرَاءِ كَالْعَطْرِ
بِأَنَّ صَوْنَكَ لِلْإِبْدَاعِ لِي يُعْرِي
أَنْ تَهْضَ أَلْهَمَمُ الْأُخْرَى بِذَا السَّحْرِ
جَزِيًّا عَلَى عَادَتِي بِالْهَمْسِ أَوْ جَهْرٍ
بِالرَّفْقِ مُنْتَظِمًا يُسْمُو بِلَا فخرٍ
وَلَا قَصْدْتُ بِهِ لِحَمْرٍ أَوْ بِكْرِ
أَحْتَاجُهُ إِذْ أَرَى قَدْ حَظَّنِي قَدْرِي
وَمِثْلِهِمْ إِذْ لَهُمْ أَسْبَابُ كَالْتَبْرِ
بِالْعُدُوتَيْنِ كَذَا فِي التَّنْظِيمِ بِالنَّثْرِ
تَعْلُو مَرْفِرَةً فِي ذِي الرُّبَى الْخُضْرِ
أَمَّا أَنَا فَلَكُمْ مِثِّي جَزَا الشُّكْرِ

إِنْ تَقْبَلُوهُ نَكْرًا: دَوْمًا عَلَيَّ بِهِجٍ
هَذَا الَّذِي قَدْ أَرَادَ الْوَالِدُ الْمُرْتَضَى
قَدْ كَانَتْ يَرْجُو لِأَهْلِ الْفَتْحِ ثُمَّ سَلَا
رَحْمَاتُ رَبِّي لَهُ مَا بَاحَ شَاعِرُكُمْ
فِي ذِي الْمَجَالِسِ عَنْ يُمْنٍ وَبِالْبَشْرِ
إِذْ أَنْشَأَ النَّادِي الْمَحْفُوظَ بِالذِّكْرِ
كُلَّ الْوَنَائِمِ الَّذِي أَبْدَاهُ فِي السَّفْرِ
أَوْ جَالَ نَاتِرُكُمْ فِي أَسْطُرِ غُرِّ

وتجددت المساجلة بين الشعارين عباس الجراري ومصطفى الشليح في يونيو 1997. ففي الجلسة المنعقدة في النادي الجراري عشية الجمعة 7 صفر 1418هـ الموافق 13 يونيو 1997، أنشد الشاعر السلوي قصيدة قافية من إنشائه بعنوان «أكرم بزهرة آس»، مهد لها بهذه العبارة: «إلى أستاذي عباس الجراري، مع صادق المحبة وحقيقتها». قال:

مَا بَيْنَ قَلْبِي وَبَيْنِي دَافِقٌ عَبَقًا	بِالْثُورِ يَرْهُمُ مِنْ أَحْدَاقِهِ الْأَفْقَا
أَرْجُو حُجَّةَ الطَّيِّبِ نَشْرًا مِنْ مَعَاهِدِهِ	إِذَا تَهَادَثَ عَهَادًا أَقْبَلْتُ عَدَقَا
وَإِنْ تَرَحَّحْتَ الْأَنْسَامَ فِي يَدِهَا	وَلَيْسَ فِي يَدِهَا إِلَّا النَّدَى نَسَقَا
فَاللَّيْلُ يَشْهَقُ فِي جِلْبَابِهِ تَمَلًّا	وَالْفَجْرُ يُنْفِثُ إِلَى أَنْخَابِهِ طُرْقَا
مَا الْكَوْتُ إِلَّا حُمِيًّا شَاعِرٍ غَرْدٍ	وَمَا الْقَصِيدَةُ إِلَّا الْكَوْتُ إِذْ نَطَقَا
يَكَاذُ جَانِحُهَا وَالصَّوْتُ مُنْدَلِقٌ	بِمَا تَرْتَفِقُ مِنْ مَاءٍ وَمَا أُنْدَقَا
يَشْتَارُ أُمْلُودَ مَا يَعْفُو عَلَى وَرِّ	مِنْ أَلْمَوَاوِيلِ، أَوْ يَشْتَارُ مَا خَفَقَا
هِيَ الْقَصِيدَةُ لَا تَدْنُو بِمَقْصِدِهَا	مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَكُنْ لِلْعُرْفِ مُحْتَرِقَا
هِيَ ابْتِدَاءَاتُ أَمْرٍ لَا انْتِهَاءَ لَهُ	وَمَا يَرَى خَلْسَةً أَوْ لَا يَرَى سَرَقَا
هِيَ آرْتِشَافُ الْأَنَا مِنْ ذَاتِ شَاعِرِهَا	وَذَاتُ شَاعِرِهَا مَكْسُوءَةٌ أَرْقَا
هِيَ اللَّيَالِي وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ شَهَقَتْ	وَالنَّجْمُ يُنْطِقُ مِنْ أَبْهَائِهَا الْأَفْقَا
وَالْحَرْفُ يَدْنُو، عَلَى حَرْفٍ، وَمِنْ عَبَثٍ	مَعْنَاهُ يَرْنُو حَمَامًا نَاسِخًا وَرَقَا

كَأَنَّمَا الطَّيْفُ بَعْضُ مِنْ مَطَارِفِهِ
وَمَا جَرَى مِنْ دِمَاءِ اللَّيْلِ مُنْسَفِحاً
هِيَ الْقَصِيدَةُ لَا تُزْحِي مَعَاقِدَهَا
إِلَّا إِذَا مَا نَأَى، وَالنَّجْمُ سَاحِبُهُ
وَالنَّحْلُ صَاحِبُهُ، وَالنَّحْلُ شَارِبُهُ
لَكِنَّمَا الشَّعْرُ مِنْ ذَاتِي طَوَالِعُهُ
وَلَمْ أُمِدَّ يَدَا مَهْبُورَةً نَفْساً
حَسْبِي أَنْكَفَاءٌ إِلَى ذَاتِي أُسَائِلُهَا
وَعَنْ مَسْرَّةِ قَلْبٍ وَازْتِعَاشَتِهِ
فَأَحْرَقَ الْأُرْمَ غَيْظاً لَا كِفَاءَ لَهُ
حَسْبِي مِنَ الشَّعْرِ تَبْيَاتٌ لِمُكْتَمٍ
وَإِنَّ حُجِّي لِعَبَّاسٍ وَمَجْلِسِهِ
أَكْرَمَ بَرْهَرَةٍ آسٍ لَا سَمِيَّ لَهَا
الْحُبُّ عَوْفِي إِذْ عَوْفِيَتِ يَا مَثَلًا
تَحَالُ أَلْوَانُهُ، مِنْ زَهْوِهَا، شَفَقًا
كُمَيْتُ وَقْتٍ وَقَدْ وَلَّى وَمَا أَسْتَبَقَا
لِلنَّابِغِيِّ وَإِنَّ صَارَ أَلْمَدَى نَفَقًا
وَأَلْبِيدُ مُعْرِبَةٌ، وَالرَّمْلُ مَا أَرْتَفَقَا
إِمَّا دَنَا وَأَرْتَمَى فِي أَلْمَنَمَى حَدَقًا
أَضَتْ إِلَى قَوَافِيهِ بِمَا أَسْقَا
لَأَنْجَحَتِ الصَّخْرُ أَوْ أَسْتَقَطَرَ الرَّهَقَا
عَنْ عِلَّةِ الْجُمْرَةِ الْأُولَى وَمَا أَنْحَرَقَا
بِالْحَقِّ يَزْرِي بِمَنْ أَسْرَى وَمَا لِحَقَا
ثُمَّ أَنْطَوَى خَبْرًا يَسْتَمَطِرُ الْحَقَقَا
وَالْحُبُّ مُكْتَمٌ أُخْرَى بِمَنْ صَدَقَا
وَالجِلَّةُ الصَّيْدُ بِالإِبْدَاعِ قَدْ عَبَقَا
مِنَ الْأَزَاهِيرِ إِنَّ خَلْقًا وَإِنْ خُلِقَا
تَعْنُو أَلْمَفَاخِرُ إِمَّا وَرَدُّهُ أُنْدَفَقَا

وجاء جواب الأستاذ عباس الجراري بقصيدة على نفس الروي بعنوان: «ويبقى الأس»، أنشدها الشاعر في النادي الجارري، خلال جلسة الجمعة 14 صفر 1418هـ الموافق 20 يونيو 1997. وقد مهد لها بالعبارة التالية: «إلى الشاعر المبدع، أخي الأستاذ الدكتور مصطفى الشليح، بعدما انتشيت برائعة «أكرم بزهرة أس»، وقد أنشدها بالنادي مساء الجمعة 7 صفر 1418هـ = 13 يونيو 1997م». قال⁽¹⁾:

أَنْتِ الْمَوْقِي لِحَقِّ فَاتٍ أَوْ لِحَقِّ	يَا مُصْطَفَى وَلِسَانُ الْقَلْبِ قَدْ نَطَقَا
بِالْحُبِّ تَسْكُبُهُ شِعْرًا وَتَنْشُرُهُ	مِثْلَ الْأَزَاهِرِ فَوَاحًا بِهِ عَبَقَا
فَالشَّعْرُ عِنْدَكَ مَعْشُوقٌ تُدَلِّهُ	وَالنَّشْرُ نَفْثَةٌ سِحْرٍ صُغْمَهَا نَسَقَا
لَا ذَاكَ تَقْرِضُهُ وَزِنًا وَقَافِيَةً	بَلْ كَامِنًا مِنْ سَجَايَا الرُّوحِ قَدْ بَسَقَا
أَمَّا الْمَقَامَاتُ إِذَا تَكْتُبُ صَحَائِفَهَا	فَالتَّبِيرُ ذُؤَبٌ وَلَيْسَ الْحَرْفُ وَالْوَرَقَا
هَيَّجَتْ فِي خَلْدِي نَجْوَى مُحَبَّبَةٍ	كَالذِّكْرِيَّاتِ بِهِرٍ أَلْوَجْدُ قَدْ شَرِقَا
أَوْقَدْتَ مَا فِي الْحُشَا قَدْ كَانَ مُسْتَكْنًا	حَتَّى غَدَا كَلْهَيْبِ الْجَمْرِ مُحْتَرِقَا
أَحْيَيْتَ فِي النَّفْسِ أَمَالًا بِهَا فَنِيثُ	لَوْلَاكَ مَا جَدَّ عَهْدٌ كَانَ قَدْ خَلَقَا
عَهْدٌ مَعَ الشَّعْرِ وَالتَّرْسِيلِ تَبَعْتُهُ	بِالْمُبْدَعَاتِ لَهَا قَلْبِي جَوَى خَفَقَا
لَكِنْ مَتَى كَانَتْ بُوْجِي طَوْعَ مَاهِرِهِ	كَالسِّلِكِ أَنْظِمُهُ أُسْبِي بِهِ الْحَدَقَا؟

(1) كتبت هذه القصيدة صباح الثلاثاء 11 صفر 1418هـ الموافق 17 يونيو 1997م.

مَنْ لِي بِمِثْلِ الَّذِي قَدْ قُلْتَ مُؤْتَلِقاً
 قَدْ سُقْتَ رَائِعَةً كَالدَّهْقِ مَفْجَرِهَا
 كَالشَّهْدِ أَوْ كَرَحِيقِ الْحْتَمِ كَاسْتُهُ
 أُبْرِزْتَ زَهْرَةَ آسٍ كُنْتَ رَاعِيَهَا
 إِخْوَانٍ وَدِّ وَصَفْوٍ لَا تَرَى لَهُمْ
 لَمْ يَأْلُفُوا غَيْرَ عِزِّ وَالنَّدَى لَهُمْ
 الظَّرْفُ فِيهِمْ وَعَيْرُ الْمَجْدِ تَكَلُّوهُمْ
 هُمْ إِخْوَتِي أَهْلُ فَضْلِ الْآسِ، زَهْرَتُهُ
 وَالْأَصْدِقَاءُ بِمَا أَهْدَتْ قَرَائِحُهُمْ
 وَالنَّادِي طُرّاً وَخِلَافُ الصَّفَاءِ لَهُمْ
 عَلَيَّ اخْتِفَاءً وَتَكْرِيماً أَرُدُّ لَكُمْ
 وَالشُّكْرُ عِنْدِي لَا تَكْفِي عِبَارَتُهُ
 فَاللَّهُ يَحْفَظُكُمْ وَالْحُبُّ يَجْمَعُكُمْ
 كَالْعَقْدِ فِي الْحَيْدِ مَوْصُولاً وَمُفْتَرِقاً؟
 تَسْقِي بِهِ الصَّبَّ لَا خُخراً وَلَا غَدَقاً
 صِرْفاً وَبِالْمَرْجِ كَالْأَلَاءِ إِنْ بَرَقَا
 إِذْ أَنْتَ مَعَ جِلَّةِ الْأَصْحَابِ وَالرِّفْقَا
 إِلَّا الْمَكَارِمَ يَغْلُوبَ الذُّرَى أَفُقَا
 كَالْمِسْكِ طَيْبُهُ عَزْفاً بِهِمْ لَصِقَا
 وَالْحَمْدُ وَالْجَوْهَرُ الْمَنْصُودُ قَدْ أَلْقَا (1)
 إِنْ أُيْنَعْتَ فَلَهُمْ حَقُّ الْجُزَا سَبَقَا
 قَدْ كَانَتْ سَقِيمُهُمْ لِلْآسِ مُنْدَفِقَا
 مَتَى مَدَى الدَّهْرِ مَا أَرْجُو لَهُمْ عَشِقَا
 بَعْضَ الَّذِي أَنْتُمْ أُخْرَى بِهِ خُلِقَا
 مَا لَمْ أَوْفَ لَكُمْ حَقّاً بِكُمْ وَتَقَا
 تَبَلَى الْأَقَا حِي وَيَبْقَى الْآسُ مُتَسَقَا

(1) تلميح إلى أسماء الإخوة الأساتذة: محمد الطريف وعبد المجيد عينية ومحمد احميدة ومصطفى الجوهري وهم الذين أشرفوا على كتاب زهرة الآس [الشاعر].

مع الشاعر السعودي عبد العزيز التويجري⁽¹⁾

(1) الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو). ولد في الرياض بالمملكة العربية السعودية في 3 أبريل 1950. حاصل على الدكتوراه من جامعة أوريغون بالولايات المتحدة الأمريكية. عمل أستاذاً بكلية التربية بجامعة الملك سعود. انتخب بالإجماع مديراً عاماً للإيسيسكو في نونبر 1991 بمدينة الرباط (المغرب)، ووجد انتخابه على رأس المنظمة عدة مرات. عضو في عدة هيئات ومؤسسات علمية عربية وإسلامية. حاصل على عدة أوسمة، منها وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة من المملكة العربية السعودية سنة 2008، والوسام العلوي من درجة قائد من المملكة المغربية سنة 2006. له عدة دراسات وأبحاث، وهو أديب يقرض الشعر.

الدكتور عبد العزيز التويجري من الشعراء السعوديين الذين كانت لهم مساجلات عديدة مع الشاعر عباس الجراري، سواء داخل المغرب أو خارجه في ملتقيات دولية وندوات علمية. ومنها هذه المساجلة التي دارت بين الشاعرين في « أبو ظبي » بدولة الإمارات العربية المتحدة. خاطب الجراري الشاعر التويجري، قال⁽¹⁾:

عَمَّ صَبَاحاً وَأَذْكَرْتُ هَذَا الْمَقَامَ	يَا أُخِي عَبْدَ الْعَزِيزِ ابْنَ الْكَرَامِ
لَيْسَ ذِي ثُونَسٍ أَوْ عَنَقَاءَهَا	إِنَّهُ نَادٍ لِبُصْبَاطِ عِظَامِ
جُلُّ إِذَا شِئْتَ وَشَاهِدٌ لِتَرَى	أَيَّ فَرْقٍ ثُمَّ دَعَّ كُلَّ مَلَامِ
وَأَسْأَلُ الْخَلَّ الَّذِي ذَكَرْتَهُ	رُفْقَةَ الْعَنَقَاءِ يُخْبِرُكَ الْكَلَامِ
ذَلِكَ يَوْمٌ قَدِ مَضَتْ أَرْزَامُهُ	وَلَنَا الْيَوْمَ بِأَرْزَامِي ⁽²⁾ مَقَامِ
فَأَنْسَ عَنَقَاءَكَ وَأَطْرَحَ ذِكْرَهَا	وَأَنْعَمِ اللَّحْظَةَ فِي نَادِي الْوِثَامِ
بِأَبِي ظُبِّي وَمَا أَرْجَبُهُ	بَلْ وَمَا أَجْمَلَ مَا فِيهِ مِنْ رِثَامِ
مَزْتَعُ الْبَهْجَةِ لَوْلَا بَعْدُهُ	وَكَذَا نَائِي جَنَاحَاتِ تِرَامِ
وَأَضْحَ مِنْ نَوْمٍ فَذَا وَقْتُ الصُّحَى	وَلَنَا دَعْوَةٌ حَسْبٌ لِلطَّعَامِ
وَدُبِّي بِبَعْدِهِ وَجْهِنَا	فَلْتَعْجَلْ يَا أُخِي وَأَقْرَأِ السَّلَامِ

(1) كتبت هذه المقطوعة في « أبو ظبي » بتاريخ 19-2-2001.

(2) الإشارة إلى السيد عبد الله أرزامي سفير المملكة المغربية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

فجاء جواب الشاعر عبد العزيز يقول⁽¹⁾:

يَا أَخِي عَبَّاسُ يَا نَسْلَ الْكِرَامِ عَمَّ صَبَاحاً فِي إِمَارَاتِ السَّلَامِ
قَدْ نَزَلْنَا نَادِيًا يَنُأَى بِنَا عَنْ صَجِيحِ الْقَوْمِ أَوْ حَتَّى الْكَلَامِ
لَيْسَ عَنَقَاءً أَرَى لِكَيْتِهِ فَأَقَمَّا شَكْلًا وَحَجْمًا بِالتَّمَامِ
إِنَّهُ يَا صَاحِ فِرْدَوْسٍ خَلَا مِنْ مَتَاعِ الْأَرْضِ وَاللَّهُوَ الْمُرَامِ
فَأَنْعَمْتُ بِالتَّوْمِ فِي أَفْيَائِهِ وَأَطْلُبُنَّ مَا شِئْتُ فِيهِ مِنْ طَعَامِ
وَإِذَا مَا رُمْتُ أَتَّ تَلْقَى بِهِ فُسْحَةً فَالْمَشْيُ خَيْرٌ مِنْ مَنَامِ
كُنْتُ أَرْجُو فُنْدُقًا فِيهِ أَلْمَى حَافِلًا بِالْغَيْدِ أَوْ بَعْضِ الْأَرَامِ
فِي زَمَانٍ مُوحِشٍ قَدْ ضَامَنَا كُلُّهُ هَمٌّ وَأَوْهَامٌ عِظَامِ
هَلْ «لَأَزْمَانِي»⁽²⁾ وَقَدْ رَافَقْتُهُ أَنْ يُعِينَ الْيَوْمَ رَهْطًا مُسْتَضَامِ
إِنَّهُ أَدْرَى بِحَالِ ضِيُوفِهِ وَالَّذِي يَبْغُوتُ حِلًّا لَأَحْرَامِ
بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَلَهُ مِنَّا التَّجِيَّةُ وَالسَّلَامِ

(1) كتب الشاعر التوجيهي هذه المقطوعة في «أبو ظبي» بتاريخ 19 يراير 2001.

(2) عبد الله أزماي سفير المملكة المغربية في دولة الإمارات العربية المتحدة يومئذ.

خاطب الشاعر الجرامي صديقه التويجري متحدثا عن « برج العرب »

فقال⁽¹⁾:

أَيْنَ نَادِي الظُّبِيِّ مِنْ بُرْجِ الْعَرَبِ ؟ ذَاكَ بِالْعُنُقَاءِ مَوْصُولُ النَّسَبِ
وَلِهَذَا مِيزَةٌ يَحْطَى بِهَا إِنَّ تَقَارِثَ قَدْ تُعْرَضُ لِلْغَلَبِ
فَأَقْ مَا تَعْرِفُهُ مِنْ نُزُلٍ فِيهِ مَا تَرْجُو وَمَا فَوْقَ الطَّلَبِ
كُلِّ مَا قَدْ تَشْتَهِي أَوْ تَرْتَضِي فَأَنْعَمَ حَقًّا تُرِلُّ كُلُّ الْكُرْبِ
بِمَقَاهِ وَمَلَاهِ مَا لَهَا مِنْ مَثِيلٍ عِنْدَ عَجْمٍ أَوْ عَرَبِ
وَطَعَامٍ بَيْنَ حِيَتَانِ بَدَثَ سَابِحَاتٍ خَلْفَ جُذْرَانِ يَهَبُ
وِيَحَارِ حَوْلَ سُكْنَاكَ وَإِنِ رُمْتَ شُرْبًا هَاهُنَا كُلِّ الْمَصَبِ
وَمُضِيْفَاتٍ حَكِيمَاتٍ غَدَثَ لِلَّذِي زَارَ أَفْتِنَانًا بِأَدَبِ
هَنَّ بِالْحُسْنِ وَبِاللُّطْفِ إِذَا لَمْ تَعْصِ الظَّرْفَ أُرْدَاكَ اللَّهُبُ
فَأَمْلًا الْجَيْبَ وَلَا تَبْخُلْ بِمَا لَكَ فِي الْكَيْسِ وَمِنْ إِزْثِ لِأَبِ
وَإِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ فَارْجُ النَّدَى مِنْ كَرِيمٍ عَلَّهُ يَكْفِي الْأَرْبِ

(1) برج العرب في إمارة دبي (الإمارات العربية المتحدة)، ويعتبر من أرقى الفنادق العالمية. وقد كتب الشاعر هذه القصيدة في « أبو ظبي » بتاريخ 20 يراير 2001.

أَوْ لَعَلَّ الْجُمُعَ يَغْدُو هَاهُنَا يَنْقُلُ الْأَضْيَافَ مِنْ ذَلِكَ النَّصَبِ
لَيْتَ قَوْلِي يَلْقَى مَنْ يَسْمَعُهُ كَيْ يُجِيبَ الْقَوْلَ إِنَّهُ هُوَ أَحَبُّ
وَإِذَا هُوَ لَمْ يُعْنَ بِهِ إِنَّمَا تِلْكَ دُعَابَاتٌ فَحَسْبُ

فرد الشاعر عبد العزيز التويجري قال⁽¹⁾:

إِيهِ يَا صَاحِ وَهَلْ يَفْضِي الْأَرْبُ فِي الْأِمَارَاتِ سِوَى بُرْجِ الْعَرَبِ
جَنَّةَ الدُّنْيَا بَهَاءً وَسَى فِيهِ مَا تَرْجُو وَمَا فَوْقَ الطَّلَبِ
مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ فَخِيرٍ وَجَمَالٍ فِي مَعَانِيهِ أَسْتَتَبِ
شَدْنَا فِيهِ فُتُورٌ بَاهِرٌ وَلِحَاطٌ فِي ثَنَائِهَا الْعُطَبِ
وَمِيَاهُ فِي خَلِيجٍ مَائِجٍ بَيْنَ أَنْعَامٍ تُنَادِي لِلطَّرَبِ
كَيْفَ أُسْكِنًا بِنَادٍ مَارِدٍ فِي قِصِيّ الْأَرْضِ يُوحِي بِالرَّهَبِ
لَيْتَنَا نَحْطَى بِيَوْمٍ وَاحِدٍ فِي رِحَابِ الْبُرْجِ نَهْنَى بِاللُّعْبِ
كَيْ نُزِيلَ إِلَهُمَّ مَا دُمْنَا هُنَا وَإِذَا عُدْنَا تَذَكَّرْنَا السَّبَبِ
فَمُ أَحْيِ عَبَّاسُ تَرْجُو شَيْخَنَا يُكْمِلُ الْمَعْرُوفَ، أَوْ قُمْ لِلْهَرَبِ

(1) كتب الشاعر هذه المقطوعة في « أبو ظبي»، بتاريخ 20 يراير 2001.

مساجلة حول الشاي بين:

- عباس الجراري (المغرب)
- محمد عبد الله التّمين (موريتانيا)
- عبد الحكيم الأنيس (سوريا)

دار الحديث شعراً حول الشاي وفوائده، بين الشعراء: محمد عبد الله التّمين، عباس الجراري، عبد الحكيم أنيس في جلسة حضرها الدكتور أحمد شوقي بنين، مدير الخزانة الملكية بالرباط (المغرب)، والدكتور علي الغزيوي محافظ خزانة القرويين بفاس (المغرب)، والقاضي أحمدنا محمد مالك أستاذ باحث في دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي (الإمارات العربية المتحدة)⁽¹⁾.
في هذه الجلسة المخصصة لشرب الشاي وكانت يوم الأحد 16 مارس 2003، أنشد الشاعر محمد عبد الله التّمين⁽²⁾ بيتين، قال:

شَرِبْنَا كُؤُوسَ الشَّايِ وَهُوَ لَنَا عَذْبٌ لَدُنْ شَرَفِ الْإِخْوَانِ وَالْأَهْلِ وَالصَّحْبِ
مَعَ الشَّيْخِ عَبَّاسٍ وَشَوْقِي وَشَيْخِنَا عَلِيٍّ وَأَحْمَدْنَا وَمَجْلِسِنَا الرَّحْبِ

(1) كان اجتماع هؤلاء الأساتذة، بمناسبة انعقاد المؤتمر العلمي الأول عن القاضي عبد الوهاب البغدادي، الذي نظم في إمارة دبي في شهر محرم 1424هـ الموافق مارس 2003.

(2) محمد عبد الله بن التّمين، باحث وشاعر موريتاني، عمل في دائرة الشؤون الإسلامية بدبي، الإمارات العربية المتحدة. من مؤلفاته: « إعمال العرف في الفتاوى والأحكام في المذهب المالكي»، « تأثير طول الزمن في الحكم الشرعي في المذهب المالكي»، « اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة».

وفي اليوم الموالي الاثنين 17 مارس 2003، أنشأ الشاعر عباس الجراري
مقطوعة شعرية جوابية يقول فيها:

هُوَ الشَّاي هَلْ أَنْبِيكَ عَنْ حَسَنَاتِهِ
وَلَأَسِيماً إِنْ كَانَ مِنْ سَيِّئِيهِ
أَجْنُ وَإِيَّاهُ إِلَى أَرْضِ «نُوقِه»
سَقَى اللَّهُ أَيَّاماً بِهَا قَدْ فَضِيئُهَا
وَهَا هُوَ يُحْيِيهَا بِأَنْسٍ وَمُنْعَةٍ
بِفُنْدُقِ «تَاجِ» فِي «دُبَيْبِ» لَنَا بِهَا
جَزَاهُ إِلَاهُ الْعَرْشِ عَمَّا أَقَامَهُ
وَعَمَّا لَهُ فِي رُفْقَةٍ بِبَشَاشَةٍ
وَعَمَّا لَهُ فِي النَّفْسِ إِذْ يُعَذِّبُ الشُّرْبُ
أَخِ الْكَلِّ عَبْدُ اللَّهِ وَالْحِلُّ وَالْحَبُّ
إِلَى «الشُّوْطِ» حَيْثُ الْعِلْمُ وَالنُّزُلُ الرَّحْبُ
يُدَارُ عَلَى الْجَلَّاسِ مِنْ شَائِبِهَا التَّخْبُ
وَجَلَّةُ أَعْلَامِ هُمْ الْأَهْلُ وَالصَّحْبُ
لِقَاءِ عَنِ الْقَاضِي الَّذِي زَانَهُ الْوَهْبُ⁽¹⁾
مَنْ الشَّاي لَا يَكْفِيهِ مِثْلُ التَّنَّ الرَّطْبُ
يَحْقُوقُ بِهَا مِنَّا الرِّضَاءُ وَلَا عَثْبُ

(1) إشارة إلى ندوة القاضي عبد الوهاب. [الشاعر].

وعقب على الشاعرين الأستاذ عبد الحكيم الأنيس⁽¹⁾، مشطراً لبيتَي التَّمِينِ،

قال:

في جلسة شاي مع أ.د.عباس الجراري مستشار جلالة الملك محمد السادس
ملك المغرب، وأ.د.أحمد شوقي بنين، ود.علي الغزيوي أمين خزانة القرويين
بفاس (المغرب) والقاضي أحمدنا محمد مالك (باحث أول في دار البحوث بدي)
قال الشيخ محمد عبد الله التمين بيتين شطرتُهما بقولي⁽²⁾:

(شَرِينَا كُؤُوسَ الشَّايِ وَهُوَ لَنَا عَدْبُ) وَوَلَا لِقَاءِ الصَّحْبِ مَا عَدْبَ الشُّرْبُ
وَزَادَتْ بِنَا الْأَفْرَاحُ وَأَخْصَوْصَلَ الْهَوَى (لَدُنْ شَرَفِ الْإِخْوَانِ وَالْأَهْلِ وَالصَّحْبِ)
(مَعَ الشَّيْخِ عَبَّاسٍ وَ«شُوقِي» وَشَيْخِنَا) وَكُلُّ - لَعْمَرِي - سَيْدٌ مَا جِدُّ نَدْبُ
دُبِّي بِهِمْ مَا دَثَّ سُورًا، بِسَيْدِي (عَلِيٍّ وَأَحْمَدْنَا وَمَجْلِسُنَا الرَّحْبِ)

(1) عبد الحكيم الأنيس باحث وشاعر سوري، من مواليد 1965. حاصل على دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، سنة 1995. عمل أستاذاً محاضراً في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدي، الإمارات العربية المتحدة، كما اشتغل في دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدي. من مؤلفاته: «العُجَابُ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ»، لابن حجر العسقلاني، تحقيق ودراسة، «القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي في آثار القدماء والمحدثين: دراسة وثائقية»، ط، 2003، «ديوان القاضي عبد الوهاب البغدادي، جمع وتحقيق وتوثيق»، ط، 2004.
(2) كتب الأنيس هذا التشطير في «دي»، بتاريخ 17-3-2003.

وكرر الشاعر محمد عبد الله التمين دعوته لشرب الشاي، فاستجاب
الدكتور الجراري وكتب يقول⁽¹⁾:

تكرم الأستاذ الصديق السيد محمد عبد الله بالدعوة للعود إلى شرب الأتاي
مرة أخرى في غرفته بعد الغداء، فلبيت الدعوة برفقة الأخ الدكتور أحمد شوقي
بنين، وقلت:

وَكَّرَرَ يَدْعُونِي إِلَى شَايِهِ الْأَعْلَى أَجَبْتُ عَلَى أَنَّ الْمَكْرَرَ هُوَ الْأَحْلَى
وَفِي جَلْسَةٍ بِالصَّفْوِ لَدَّ شَرَابِهِ يُرِيئُهَا « شَوْقِي » بِرِفْقَتِهِ الْمَثْلَى
وَعَبْدُ الْإِلَهِ السَّمْحُ بِالصَّنْعِ يَنْتَشِي يُقَلِّبُ كَاسَاتِ الْأَتَايِ بِمَا يُمْلَى
وَلَوْلَا حَدِيثُ الْحُزْبِ تَبَأَلُ « بُوشَهَا » لَكَانَتْ لَدَاذَاتُ الشَّرَابِ بِهَا أَعْلَى

(1) كتب الشاعر هذه الأبيات في « دي »، بعد ظهر الثلاثاء 2003/3/18.

بين أمير الشعراء وأمير البيان⁽¹⁾

(1) كان عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري قد أعلن علي الصقلي أميراً للشعراء، يوم 29 دجنبر 2011، من خلال قصيدة ختمها بقوله:

فاهناً بما قد نلته وافخر به واسعد فأنت أميره بحقيق.

وفي 17 ماي 2013 أقام د.الجراري في ناديه الأدبي، جلسة تكريمية أنشد خلالها قصيدة بعنوان «أمير الشعراء»، مطلعها:

اليوم مجلسنا بهيئاً نيرُ والنادي في حفل يتيه ويفخر

ثم نظم النادي الجراري بتعاون وتنسيق مع جمعية رباط الفتح ندوة علمية يوم الخميس 10 أبريل 2014 لتأكيد هذه الإمارة، ونشرت أعمالها ضمن منشورات النادي الجراري رقم 69 سنة 2016 تحت عنوان « علي الصقلي أمير الشعراء».

وفي نفس السياق، بعث الشاعر علي الصقلي إلى عباس الجراري، قصيدة عنوانها «أمير البيان» مؤرخة في 13 دجنبر 2014، رغبة منه في اقتسام « الإمارة » مع عميد الأدب المغربي، مضيفاً عليه صفة «أمير البيان»، قال في مطلعها:

أمير البيان بأعلى سريز وهل للبيان سواك أميرُ ؟

إلى أن قال:

أميران نحن وما بيننا ونحن سويان، أيُّ كبيرُ !

دارت بين الشاعر علي الصقلي⁽¹⁾ وعباس الجراي عدة مساجلات شعرية،
في مناسبات مختلفة. ففي الثامن من شهر دجنبر سنة 2005، كتب علي الصقلي
مخاطبا عباس الجراي، قال: عزيزي عباس ...

ألبسك الله رداء العافية، وإنك في عيني لممتع بها بمشيئة الله و....⁽²⁾

الْعِلْمُ عُوْفِيْ إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْأَدَبُ مَنْ ذَا سِوَاكَ بِذَا أَوْ ذَا لَهُ نَسَبُ ؟
يَا خَالِدَ الذِّكْرِ إِبْدَاعاً بِمَا شَهِدْتَ بِهِ لَكَ الصُّحُفُ فِيمَا صُغِتَ وَالْكَتُبُ
عُدَّ لِلْيَرَاعِ كَمَا عَوَّدْتَنَا بَطْلًا تَنْمِي إِلَى خَيْرِ أَبْطَالٍ وَلَا عَجَبُ

-
- (1) علي الصقلي صاحب النشيد الوطني « منبت الأحرار»، من مواليد مدينة فاس سنة 1929.
- دُرِّسَ بالقرويين بعد تخرجه فيها.
- التحق بالديوان الملكي سنة 1956.
- عمل بوزارة الخارجية فترة من الزمن ليلتحق ثانية بالعمل التربوي، فاشتغل بالتفتيش إلى أن عيّن سنة 1971 مفتشاً عاماً للتعليم بوزارة التربية الوطنية.
- حصل على جائزة المغرب الكبرى سنة 1982، ثم على جائزة الملك فيصل العالمية سنة 1991.
- حصل على وسام المملكة المغربية من درجة فارس، كما حصل على أوسمة أخرى من دول عربية مختلفة.
- للشاعر علي الصقلي دواوين عديدة لم ينشر منها إلا النزر القليل، ومعظمها لا يزال مرقوناً بخزائنه. من كتاباته المنشورة:
أ - «المعركة الكبرى» مسرحية شعرية، ط، 1982.
ب - الأميرة زينب، رواية شعرية، ط، 1989.
ج - أبطال الحجارة، ط، 1988. ومما نشره أخيراً «بين صديقين، محمد الحلوي وعلي الصقلي» تضمن مجموعة من الأشعار التي دارت بين الشعراء، ط، 2014.
(2) كذا في الأصل.

المساجلة الأنجولاسية

بين

- عباس الجراري
- عبد العزيز التويجري
- مصطفى الزباخ

في نهاية شهر أكتوبر 2006 نظمت ندوة علمية حول حوار الحضارات، بمدينة شفشاون، تحت إشراف منظمة الايسيسكو. كان من المشاركين فيها، الدكتور عباس الجباري، الدكتور عبد العزيز بن عثمان⁽¹⁾ التويجري، الدكتور مصطفى الزباخ⁽²⁾، الأستاذ أحمد حسن العمارتي⁽³⁾.

وعلى هامش هذه الندوة، أقام الدكتور مصطفى الزباخ، مأدبة عشاء على شرف هؤلاء الأساتذة⁽⁴⁾، وكان ما قدمه لضيوفه، نوع من السمك يسمى «الأأنجولاس» «las angolas»، وهو باهض الثمن، لكن شكله الذي يشبه الدود، لم يشجع الضيوف على الإقبال عليه رغم ما فيه من فوائد صحية كما شرح صاحب المأدبة، وحول هذه الواقعة، دارت مساجلة شعرية بين الشعراء: الجباري، التويجري، الزباخ؛ وشارك الأستاذ أحمد حسن العمارتي بمقامات، عمل فيما بعد على جمعها ونشرها ضمن كتاب⁽⁵⁾. وقد امتد زمن هذه المساجلة على مدى أربع سنوات.

(1) المدير العام لمنظمة الايسيسكو.

(2) أستاذ جامعي بكلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، شغل منصب مدير لعدة مديريات في منظمة الايسيسكو. نشر أشعاره الأولى في صحف وطنية، «العلم» و«المحرر». أصدر ديوانين: الأول بعنوان «أصنام الشر» سنة 1972، والثاني بعنوان «أشواق الموج الظامي» سنة 2013.

(3) الأستاذ أحمد حسن العمارتي من مواليد مدينة شفشاون سنة 1936. حاصل على الإجازة في العلوم السياسية، سنة 1963، من كلية العلوم القانونية، جامعة محمد الخامس، بالرباط. وزير مفوض بوزارة الشؤون الخارجية، التحق بوزارة القصور الملكية والتشريفات والأوسمة التي عمل بها سبعة وثلاثين عاما. نشر الأديب العمارتي العديد من الدراسات والمقالات في عدة صحف ومجلات مغربية وعربية، أصدر كتاب «يا بني» في جزأين، ج 1، ط، 1998، ج 2، ط، 2005.

(4) كان ذلك في مطعم يحمل اسم Casa Hassan (دار حسن) بمدينة شفشاون.

(5) هو كتاب «التماس المنى والقلائد مما في المقامات العمارتية من أدب وفوائد»، طبع سنة 2011.

كتب الشاعر عباس الجراري مساء حفل العشاء، الذي أقيم يوم الاثنين 7 شوال 1427هـ الموافق 30 أكتوبر 2006 بمدينة الشاون، قال⁽¹⁾:

أَقَامَ لَنَا الزَّبَاخُ مَادُّبَةَ الْعَشَا لِإِكْرَامِنَا فِي شَاوِنِ «بَكْسَا حَسَنُ»
هُنَالِكَ حَيْثُ الْمُلْتَمَى مُتَجَمِّعٌ لِيَحْتِ حِوَارٍ لِلْحَضَارَةِ قَدْ عُثِرُ
أَبُو حَسَنِ الرَّيْسُونِيِّ (2) يُرْهِى تَبَاهِيَا كَذَاكَ الْوَزِيرُ السَّعْدُ (3) مَعَ عَامِلِ الْهُدْنِ (4)
تَوَالَثَ بِهَا الْأَطْبَاقُ مِنْهُ تَفَضُّلاً وَأَفْضَلُهَا كَالدُّودِ يُقْوَى بِهِ الْبَدَنُ
كَذَا قَالَ يُغْرِينَا جَمِيعاً بِأَكْلِهِ وَزَادَ بَأْتِ السَّعْرِ يُغْلُو لَهُ الثَّمَنُ

(1) نظمت هذه الأبيات يوم الاثنين 30 أكتوبر 2006، مساء حفل عشاء بمطعم «كاسا حسن» بمدينة «الشاون».

(2) الأستاذ علي الريسوني من مواليد 1943 بمدينة شفشاون، اشتغل في سلك التعليم أستاذاً لمادة اللغة العربية ثم التربية الإسلامية. مؤسس جمعية ابن مشيش لرعاية التراث الحضاري بشفشاون. انتخب مستشاراً في المجلس البلدي بشفشاون. وفي مجال الإعلام عمل مديراً لجريدة «النصيحة»، كما اشتغل بالخطابة حيث كان خطيب الجمعة بمسجد سيدي ابن الحسن بمدينة شفشاون، ثم واعظاً لدى المجلس العلمي بولاية تطوان. وعين عضواً بالمجلس العلمي بشفشاون، حيث أنجز العديد من الدراسات والأبحاث حول أعلام هذه المدينة وكذا عن تقاليدها وأمثالها...

(3) الإشارة هنا للأستاذ سعد العلمي، وهو من مواليد مدينة شفشاون 1948. وقد تقلب في عدة مناصب، فقد انتخب نائباً برلمانياً عن هذه المدينة خلال ثلاث ولايات تشريعية منذ 1977. وفي سنة 2002 تم تعيينه من طرف جلالة الملك محمد السادس وزيراً مكلفاً بالعلاقة مع البرلمان في حكومة إدريس جطو، ثم بذات المهمة في حكومة عباس الفاسي سنة 2007. وفي سنة 2013 عين سفيراً للمغرب في جمهورية مصر العربية إلى غاية 2016. والأستاذ سعد العلمي عضو مؤسس للعصبة المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان سنة 1972.

(4) الإشارة هنا إلى السيد محمد هذان، عامل صاحب الجلالة على مدينة شفشاون.

وَأَتَّ اسْمَهُ لِلأَنْجُولِاصِ أَنْتِسَابُهُ
فَمَا زَادَنَا إِلَّا أَيْبَعَاداً وَنَفْرَةً
أَلَا فَاعْجَبُوا كَيْفَ الزَّبَاحُ يُضِيفُنَا
أَمَا ذَكَرَ أَلْهَدَانَ فِي دَعَوَاتِهِ
إِذَا هُوَ قَدَمَدَ أَلْمَوَائِدَ لَا يَرَى
وَهَا قَدْ نَسِيَ عَبْدَ أَلْعَزِيزِ بِفَضْلِهِ
فَمَا شِئْتَ مِنْ أَكْلِ وَمِنْ نَفْحَاتِهِ
فَكَيْفَ يَرَى الزَّبَاحُ يُكْرِمُ ضَيْفَهُ
وَلَكِنَّ وَعْداً مِنْهُ جَاءَ مُؤَكِّداً
وَأَتَى لَنَا أَنْ نَطْمِئِنَّ لِذِي الْمِنَّةِ
عَلَى أَنَّ كُنَّا نُعَانِي مِنْ أَلْوَهْرِ
وَيُكْرِمُنَا بِأَلدُّودِ يَا لَهُ مِنْ زَمَنِ
وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ عَامِلِ خَدَمِ أَلْوَطَنِ
يَكُونُ بِهَا نَقْصُ أَلْفَرَائِضِ وَالسَّنَنِ
مُحَافِلُهُ الْجُفْلَى تَزِينُ بِمَنْ وَمَنْ
فَهُوَ أَلَّذِي بِأَللُّطْفِ قَدْ مَجَّى أَلدَّرْنَ
بِدُودٍ بِهِ فِينَا يُثِيرُ كَذِي أَلْفَتَنِ
بِأَنَّهُ عِنْدَ أَلْعُودِ يُكْرِمُ بِأَلْحَسَنِ

وفي إطار هذه « المساجلة الأنجولاصية »، كتب الشاعر عباس الجراري هذه الحائية يوم الإثنين 7 شوال 1427هـ الموافق 30 أكتوبر 2006 بمدينة الشاون، قال:

زبأخنا أضحى أسمه سبأحا	والبحر أمسى بأسمه فوأحا
إذ جدّه جاز المسافة غائماً	بشجاعة لا يخشى سفأحا
ومن الشمال أتى يجاهد داعياً	يزجو السلام مصافحاً سمأحا
والمصطفى الزباخ قاف مهجه	لكن ببحر معارف قد سأحا
وكذا الفنون بشعرها وبنثرها	وأسأل نتاجاً تلقه بوأحا
وأسأل إيسيسكو إن أردت توسعاً	تجد الجواب كفاية وضأحا
وأسأل مديره من سعدت بلطفه	في كل حال غادياً روأحا
عبد العزيز ⁽¹⁾ ألفرد من إشهاده	يكفي الذي يزجو الثنالمأحا
لكنه مثلي يسائل مصطفى ⁽²⁾	إن كان يأمل لأسمه مسأحا
ليصير سباحاً على ما يشتهي	ويكون إشهارة له فضأحا
فعليه تجديد العقيقة بالشيأ	ه إذا يشأني أن أرى نصأحا
ومحمد الهدات عامل شأون	يكفيه تسجيلاً له فوأحا

(1) الإشارة إلى عبد العزيز التويجري المدير العام لمنظمة الإيسيسكو.

(2) الإشارة إلى مصطفى الزباخ.

فِي الدَّفْتَرِ المَدَنِيِّ ثُمَّ بِطَاقَةٍ
لَكِن بِشَرَطِ حُضُورِهِ مَعَنَا هُنَا
وَإِيَّاهُ أَنْ يَنْسَى خَطِيبَ المُلْتَقَى
أَعْنِي العِمَارَتِي⁽¹⁾ الشَّهِيرَ بِطُولِ مَا
وَالله يَهْدِينَا وَيَحْفَظُ جَمْعَنَا
فَهُوَ الحَيِيرُ فَكُنْ لَهُ مَدَّاحَا
كُلَّ المَرَامِمْ لَا يَكُنْ شَخَّاحَا
مَنْ لِّلشَّهَادَةِ تَالِيَا صَدَّاحَا
يُلْقِيهِ غَيْرَ مُعَارِضٍ مَنْ صَاخَا
وَيُكْرِرُ «الزَّرْدَاتِ» وَالْأَفْرَاخَا

(1) الإشارة إلى الأديب أحمد حسن العمارتي.

ثم أضاف⁽¹⁾:

زَبَّاحَنَا أَضْحَىٰ أَشْمُهُ سَبَّاحَا يَقْطَعُ جِدَّهُ الْبِحَارَ قَدَمَا
وَهُوَ بِحَقِّ مَا هَرَّ فِي الْعَوْمِ يَخُوضُ فِي بَحْرِ الْعُلُومِ دَوْمَا
كَذَا الْفُنُونُ لَا تَسْلُ عَنْ شِعْرِ فَهَوَ الْحَقِيقُ إِنِّ يُبَارِزُ قَوْمَا

(1) كتبت هذه الأبيات في شفشاون بتاريخ 30 أكتوبر 2006.

وكتب الدكتور عبد العزيز التويجري⁽¹⁾:

أَطَالَ الْعَمَرَتِي⁽²⁾ رَغْمَ أَنْي نَصَحْتُهُ
وَزَادَ أَخُونَا بَعْدَهُ مِنْ جَزَائِرِ
وَجَاءَ مِنْ الْأَسْبَابِ نَمَّ مَفْوَةٌ
وَفَرَّخَ مِنَ الرُّومَانِ لَمَّا تَهَوَّدُوا
فَبِاللَّهِ يَا عَبَّاسُ⁽³⁾ كَيْفَ خَلَّصْنَا
وَذَلِكَ فِعْلٌ قَدْ أَرَادَ بِهِ حَيْفًا
أَبُو جَزْرَةَ قَوْلًا تَعَدَّى بِنَا حَيْفًا
وَمِنْ فَارِسٍ وَسَنَى تُرْجِمُهَا هَيْفًا
يُبِيرُ لَنَا لُطْفًا وَيُخْفِي لَنَا سَيْفًا
وَقَدْ أَصْبَحَ الرَّيْسُونَ⁽⁴⁾ فِي حَفْلِنَا صَيْفًا

فأجاب الشاعر الجراري⁽⁵⁾:

فُدَيْتَ أَخِي عَبْدَ الْعَزِيزِ مُنْتَبَهًا
فَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَمْتَثِلْ لِرَجْزَتِهِ
لَأَحْمَدِنَا كَيْ لَا يُطِيلَ بِنَا كَيْفًا
عَسَاهُ إِذَا لَجَّى يَدُومُ لَنَا صَيْفًا

(1) كتبت هذه المقطوعة في شفشاون، بتاريخ 30 أكتوبر 2006.

(2) الإشارة إلى الأديب أحمد حسن العمارتي.

(3) الإشارة إلى الأستاذ عباس الجراري.

(4) الإشارة إلى الأستاذ علي الريسوني، رئيس جمعية الدعوة الإسلامية بشفشاون.

(5) كتب هذا الجواب في شفشاون بتاريخ 30 أكتوبر 2006.

ونظم الدكتور عبد العزيز التويجري جواباً عن نونية الجراري، وكان ذلك بتاريخ
31 أكتوبر 2006، قال:

وَمَا كَانَ لِلزَّبَاخِ أَنْ يَسْتَضِيْفَنَا
فَقَدْ كَانَ سَبَاحاً مِنْ الرِّيفِ جَدُّهُ
وَلَكِنَّ دُودَ النَّهْرِ مَا كَانَتْ سَائِعاً
وَتِلْكَ مِنَ الزَّبَاخِ زَلَّةٌ فَاهِمٌ
فَحَقُّ عَلَيْهِ الْيَوْمَ دِينَ وَمَوْعِدٌ
أَنَا وَأَخِي عَبَّاسُ شَيْخُ فَرِيقِنَا
وَعَامِلُ شَفْشَاوِنِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٌ
عِصَابَةٌ طَهَّرَ قَدْ تَلَاقَتْ قُلُوبُهَا
فِيَا مُصْطَفَى الزَّبَاخِ عَجَلْ حُقُوقَنَا
بِعَيْرِ طَعَامِ الْبَحْرِ يَتَّقَى بِهِ الْبَدَنُ
وَمَنْ يُشْبِهُ الْأَجْدَادَ فِي الْعُومِ مَا جَبُنْ
وَإِنْ كَانَ ذَا صِيْتٍ وَيَعْلُو لَهُ التَّمَنُّ
أَرَادَ لَنَا خَيْراً وَلَمْ يَلُكْ ذَا إِحْنِ
لِيَمْحُو زَلَاتِ بِشَاوُنِ تَزْتَهَنُ
وَزَوْجَتُهُ بِنْتُ الْكِرَامِ ذَوِي الْمَنِّ
وَأَحْمَدُ مَنْ يُدْعَى بِحَقِّ أَبِي الْحَسَنِ
عَلَى الْحَبِّ فِي صِدْقٍ لِيَبْقَى مَدَى الزَّمَنِ
لَكَيْلَا تَرَى مِنَّا هِجَاءً لَهُ شَنْنِ

ثم أضاف الجراري إليها بعد تأخير المأدبة وعدم الوفاء بالوعد⁽¹⁾:

هُوَ مَوْعِدُ الْعُرْقُوبِ ذَلِكَ وَصْفُهُ وَإِذَا أَرَذْتَ فَمِثْلَ حَضْرَاءِ الدَّمَنِ
لِمَ ذَا التَّبَاطُؤِ فِي الْوَفَاءِ بَزْدَةٍ أَوْ مَا دَرَى أَنَّ الْوَفَا أَهْدَى سَنَنِ
لِمَ ذَا الدُّهُولِ عَنِ الرِّفَاقِ تَسْلِيًّا وَهُمْ كَمَا يَدْرِي تَعَالَوْا فِي الْقُنَنِ
هُوَ أَحْمَدُ، الْعَبَّاسُ بَعْدَ تُوَيْجِرٍ⁽²⁾ فَوُجُودُهُمْ زَيْنُ الْمَقَامِ مَعَ الْهَدَنِ⁽³⁾
قَدْ طَالَ شَوْقُهُمْ وَزَادَ عَنَاؤُهُمْ وَلَعَلَّهُ بِالرِّدِّ أَجْدَرُ مِنْ قَبَنِ

(1) نظمت هذه القصيدة يوم الاثنين 20 نونبر 2006.

(2) الإشارة إلى الأستاذة: أحمد حسن العماري، عباس الجراري، عبد العزيز التويجري.

(3) الإشارة إلى السيد محمد هذان عامل صاحب الجلالة على مدينة شفشاون.

وبعد العتاب الذي وُجِّه إلى الشاعر مصطفى الزباخ كتب مجيباً⁽¹⁾:

بَادِ رِضَاكَ وَإِنْ زَلَّ حُطَى السَّفَرِ فِي جُودِ عَيْنِكَ عِثْدُ السَّمْحِ مُنْتَضِمٌ
مَا كُنْتُ أَوْتِرَ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي حَتَّى يُعَيِّرَنِي الْأَحْبَابُ وَالْقَامُ
قَالُوا أَحْبِيبَ طَهَا لِضَيْفِهِ عَجَباً إِبَّ السَّمَاخِ لِأَهْلِ الْعَثْرِ مُعْتَصِمٌ
عِتَابُكُمْ يُشْتَمِي مِنْ كُلِّ مُنْتَسِبٍ لِلْفَرِّ مِنْهُ يُرْجَى الشِّعْرُ وَالْكَلِمُ
يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى وَأَجُودِ مَعْدِرَةَ شَفْشَاوُنِ الْحَيْرِ مِنْهَا يُجْتَنَى الْكَرْمُ
شَفْشَاوُنِ السَّلْمِ، فِي أَنْهَارِ مَفْرِقِهَا فِي رَبْعِهَا جَنَّةٌ، وَأَهْلُهَا هَرَمٌ
لَا تَعَجِبُوا سَادَتِي مِنْ حُوتِ أَنْهَرِهَا فِي السَّمَلِ يُزْهِرُ مَا لَمْ تَعْرِفِ الْقِمَمُ
أَسْمَاكُنَا دُرَّرٌ فِي النَّهْرِ مَوْلِدُهَا يَشْتَاقُ لَدَيْهَا الْأَسْيَادُ وَالْهَمَمُ
إِبَّ الْجَوَاهِرِ تَغْلُو فِي نَدَارَتِهَا وَلَا تَهِيمُ بِهَا لِشَكْلِهَا الْأُمَمُ
أَبَا نَزَارٍ⁽²⁾ فَلَا تَسْأَلْ عَنِ السَّمَاكِ هَذِي الْأَسْمَاكُ مَرْجَانٌ لِمَنْ عَلِمُوا
لَكِنْ وَمَنْ عَجِبِي أَنْ عَبَّ الْأَنْجُولَا مِنْ فِي الدُّنَا سَادَةٌ بِعَابِهِمْ عُرِفُوا
طُوبَى إِذَا كَانَتِ الدِّيدَانُ مِنْ كَسْنَا⁽³⁾ جَاءَتْ بِمَا جَادَتِ الْأَشْعَارُ وَالِدِيمُ

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة في مدينة الرباط بتاريخ 2006/ 12/ 26.

(2) الإشارة إلى د. عبد العزيز التويجيري.

(3) الإشارة إلى مطعم «كسا حسن casa Hassan» بمدينة شفشاون.

فِي مَطْعَمِ الْحَسَنِ (1) الزَّاهِي بِكُمْ، مَجْبُوبٌ
 يَزِيدُهُ الصَّحْبُ مِنْ كُلِّ الدُّنَا قَدِمُوا
 يَا لَأَيْمِ السَّارِي لَيْلًا بِلَا أَنْسٍ
 فَهَلْ يُلَاكُمُ عَلَى أَحْدَاقِهِ الْبَصَرُ
 فَمَعْدِرَةٌ إِنَّنَا فِي ذِي الدُّنَا بَشَرٌ
 مَهْلًا صَحَابِي فَفِي شَفْشَاوُنِ الْأَدَبِ
 لَا تَحْسِبُوا لَقَبًا فِينَا يُعَيِّرُنَا
 حَلَلْتَ عَبْدَ الْعَزِيزِ السَّهْلَ وَالْقَمَمَ
 عَبْدَ الْعَزِيزِ لَكُمْ مِنْ حَبِينَا جَبَلٌ
 عَبَّاسُ (2) مَا لِي أَدَانُ فِي قَصَائِدِكُمْ
 إِنَّ هَانَ كَرْبِي فِي أَنْهَارِ عَفْوِكُمْ
 مَا لِي أَعْظَمُ شَأْنًا قَدْ بَرَى كَبْدِي
 إِنَّ كَانَتْ يُرِضِيكُمْ مَا قَالَ عَاذِلُنَا
 إِنِّي إِذَا رَاضٍ بِمَا هَوَى عَاذِلِي

(1) مطعم CASA HASSAN مدينة شفشاون.

(2) الإشارة إلى الأستاذ عباس الجراري.

وَشَاءَ مَوْلَايَ أَنْ أُبْدِيَ الرِّضَى حَامِداً
مَاسٌ وَيَأْقُوتٌ فِي مَهْرِنَا دُرُّرٌ
أَبَا أَلُوفٍ⁽¹⁾ لَقَدْ عَيَّرْتَنَا فَكَفَى
لُطْفاً كِرَامَ الْقَوْمِ إِنِّي وَجَعٌ
إِنِّي وَإِثْ كُنْتُ مَعْنَى هَدَّي سَقَمٌ
فِي تَثْرِهِ الشَّادِي يَزُونُو لَهُ الْعَجْمُ
تَاجُ الْكِرَامِ بِكُلِّ دَعْوَةٍ عَالِمٌ
وَاحَرَ قَلْبَاهُ مَعْنَى قَلْبُهُ شَمِيمٌ
كَيْفَ الْعِتَابُ وَهَدِي الْأَشْهُرُ الْحَرْمُ
جُنْحُ الْأَجْبَةِ بَعْدَ الْيَوْمِ يَلْتَمِيمٌ

(1) الإشارة إلى الأستاذ عباس الجراري.

بعد العتاب الذي وجه إلى الدكتور مصطفى الزباخ، وعد هذه الرِّفقة بمأدبة ثانية يغيب عن موائلها «الأجولأص»، ويعوض بلحم البقر والخرفان، يضاف إليهما صغار الحَمَام والدجاج، تنسي الصُحب ليلة أكل الديدان⁽¹⁾.
وبعد أن أنجز الشاعر الزباخ ما وعد، كتب إليه د.عبد العزيز التويجري مُثنياً⁽²⁾:

وَفِي الزَّبَاحِ بِالْوَعْدِ الْقَدِيمِ وَأَكْرَمَنَا بِمَأْدِبَةِ الْكَرِيمِ
بِهَا الْأَطْبَاقُ أَنْوَاعٌ لِدَاذُ نَسِينَا يَوْمَهَا دُودَ الْمَلِيمِ
وَجَوْزُوقٌ صَادِحٌ نَعْمًا وَشِعْرًا وَشَائِي أَخْضَرَ بَعْدَ الطُّعُومِ
كَذَا الزَّبَاحُ أَتَبَّتْ دُوتَ رَيْبٍ سَلَامَةً قَضَدِهِ بَيْنَ الْخُصُومِ
وَكَانَتْ كَمَا جُدُودٍ ذَا أُصُولٍ يَغُوصُ إِلَى اللَّالِي فِي الْيُومِ
حَقَّقَ لَهُ ثَنَاءً بَعْدَ لَوْمٍ لَنُخْرِجَ سَالِمِينَ مِنَ الْهُومِ

(1) وردت هذه الإشارة في «مقامة المواعيد المرسومة تأهباً للمائدة الموعودة» ضمن كتاب «التماس المنى والقلائد مما في المقامات العمارتية من أدب وفوائد»، أحمد حسن العمارتي، ص، 53.
(2) كتب هذه المقطوعة بتاريخ 26 دجنبر 2006.

وكتب الشاعر عباس الجراري في سياق المسألة « الأَنْجُولَاصِيَّةُ »، قال:

هذه قصيدة كتبت مساء الاثنين 8 صفر 1428هـ الموافق 26 فبراير 2007م بعد أن أخبرني الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري بأنه لا فائدة من انتظار زردة العمارتي، وأنه علينا أن نأخذ مبادرة. كان ذلك صباحاً ونحن في الايسيسكو بعد انتهاء الجلسة الافتتاحية للندوة الدولية حول تفعيل مقومات الهوية:

يَا سَيِّدِي عَبْدَ الْعَزِيدِ	زِيَا أَمِيرَ الْقَافِيَةِ
وَيَا أَخِي يَا مُضْطَفِي	يَا ذَا الْحِصَالِ السَّامِيَةِ
مَنْ أَنْتُمْ وَأُدِّي كَمَا	أَنْتُمْ نَفْسِي الْوَاعِيَةِ
فَأَنْتُمْ أَلْمَجْأُ لِي	إِذِ الرَّيِّحِ الْوَاغِيَةِ
أَتَاكَ ذِكْرُ الَّذِي	يَغْمُرُنَا أَمَانِيَةِ
أَمَا كَفَاهُ طُولُ مَا	أَلْقَى عَلَى آذَانِيَةِ
مِنْ خُطْبِ حَسْبِهَا	كَمَا الْقُطُوفِ الدَّانِيَةِ
كَأَنَّهَا جَوَاهِرٌ	يَنْثُرُهَا لِأَيِّهِ
وَنَحْسُ بِالصَّمْتِ نَلُو	دُ وَالْقُلُوبِ شَاكِيَةِ
أَعْنِي أبا الْعَبَّاسِ (1) مَنْ	يُنْسَبُ لِلْعَمَارَتِيَةِ
يَزِيدُ دَعْوَةً إِلَى	أُكْلَةَ قَالِ شَافِيَةِ

(1) الإشارة إلى الأديب أحمد العمارتي.

يَقُولُ عَـزَّ مِثْلُهَا وَمَا سِوَاهَا وَاهِيَةٌ
يَدْعُونَهَا (طَنْجِيَّةً) بِشَاوِبٍ وَبَادِيَةٌ
فَاقْتُ مَا عِنْدَ (بِهَجَّةٍ)⁽¹⁾ أَلَى لَهَا التَّسَاوِيَةُ
بِلَحْمِهَا وَشَخْمِهَا وَمَنْظَرٍ فِي آنِيهِ
سَالَ اللَّعَابُ عِنْدَنَا مِثْلَ الدُّمُوعِ الْهَامِيَةِ
شَوْقًا إِلَى تِلْكَ الَّتِي يُحَى لَهَا بِالنَّاصِيَةِ
قُدُورُهَا مِثْلُ الْجِفَا نِ وَالْمَقَارِي الْعَالِيَةِ
لَكِنَّ بَدَا حَوَاؤُهَا مِثْلَ الثِّيَابِ الْبَالِيَةِ
أَوْ مِثْلَ أَرْضٍ قَدْ غَدَتْ جَزْدَاءَ قُلُوعِ عَارِيَةِ
إِذِ الْوُغُودُ عِنْدَهُ فِي عُمُقِهَا وَالْحَافِيَةِ
تُغَيِّبُ عَنِ الْأَكْلِ وَكَمْ هُوَ يَرَاهَا كَافِيَةِ
لَمْ يَكْفِهِ إِئْتِكَارُهُ لِرَزْدَةِ إِخْوَانِيَةِ
بَلْ فَرَّ مِنْ حَقِّ لَنَا إِلَى الْأُلَى الزَّبَانِيَةِ
أَغْنِي بِسِلَاحِ الْأَنْجَلِيدِ زِ وَبِيلِيرِ⁽²⁾ الطَّاعِيَةِ

(1) المقصود مراکش.

(2) الإشارة إلى رئيس الوزراء البريطاني «توني بليز» BLAIR TONY الذي اتخذ قرار مشاركة بريطانيا في الحرب على العراق سنة 2003.

ظَنَّا بِأَنْ يُنْسِينَا لَأَ كَانَتْ ذِي أَيَادِيهِ
 الْحَقُّ ثَابِتٌ لَنَا وَمَا أُرَانِي نَاسِيَهُ
 فَهَلْ لَهُ أَتْ يَهْتَدِي بِالزَّرْدَةِ الزَّبَاخِيَّةِ
 وَمَثَلُهَا عَزِيزِيَا ت مَالَهَا مِنْ ثَانِيَّةِ
 يُزِيلُ مَا بَطْنَنَا وَمَا لَهُ مِنْ خَاطِيَّةِ
 بِمَا دُبَاتِ عَلَّهَا تُنْسِي الْوُعودَ الْمَاضِيَّةِ
 فَتُحْرِبُ عِنْدَ وَعْدِهِ بِطَنْجِيَّاتِ حَامِيَّةِ
 تَأْتِي مِنَ الْفُرْبِ لَنَا مُغْنِيَّةٌ وَمُفْنِيَّةِ
 وَلَا تُكْرِبُ بِيَصَارَةً فَتَلْكَ فِي الدُّرْدَارِيَّةِ
 مَعَ أَنَّهُ يَسْطِيعُ أَتْ يُضِيفُهَا لِلطَّنْجِيَّةِ
 فَالْمَكْرَمَاتُ عِنْدَهُ شَنْشَنَةٌ وَرَاثِيَّةِ
 تُضْفِي عَلَيْهَا زَيْنَبٌ⁽¹⁾ بِهِاءِ كُلِّ غَالِيَّةِ
 بِنْتُ الْكِرَامِ مِنْ لَهَا يَبِضُّ الْأَيَادِي السَّارِيَّةِ
 وَلَسْتُ أَذْرِي مَا الَّذِي حَلَّ بِهِ مِنْ سَاهِيَّةِ
 لَعَلَّ عُذْرًا طَارِيًّا مَنَعَهُ بِلَانِيَّةِ

(1) حرم الأستاذ أحمد العمارتي.

أَفْصِدْ سُوءَ نِيَّةِ	حَاشَا لَهُ أَنْ يُعَانِيَهُ
إِنْ كَانَ ذَا الْعُدْرِ لَهُ	فَلْيُؤْتِ بِدِهِ عِلَاقِيَّةً
حَتَّى نُنُوبَ عَنْهُ فِي	حَلِّ لِيذِي الْإِشْكَالِيَّةِ
فَكُلُّنَا لِحَلِّهَا	نَسْعَى بِأَلَا تَوَانِيَهُ
نُنُوبُ عَنْ خَلِّ كَبَا	وَبِالْقُلُوبِ الصَّافِيَّةِ
أَبُونِ زَارٍ دَائِمًا	مُعَزِّزٌ لِلتَّرْضِيَّةِ
أَوْدُ أَنْ يَفْتَحَ لِي	مَجَالَ هَذِي التَّضْفِيَّةِ
يُثْبِتُهَا بِدَعْوَةٍ	تَكُونُ مِنْهُ تَالِيَةً
شُكْرًا لَهُ مُجَدِّدًا	فَهُوَ الْكَرِيمُ الدَّاعِيَةُ
فَمَرْحَبًا فِي بَيْتِنَا	لِزُرْدَةِ رَبَاطِيَّةِ
تَسْمُو بِهَا أَطْبَاقُهَا	كَمَا سَمَّيْتُ بِالتَّخْلِيَّةِ
أَهْلًا وَسَهْلًا إِخْوَتِي	وَرُفْقَتِي الْحَمِيمَةَ
وَحَدِّدُوا الْوَقْتَ لَهَا	فِي سَاعَةِ مُوَاتِيَّةِ
إِنْ زُمْتُوهَا فِي مَسَا	أَوْ جَلَسَةِ نَهَارِيَّةِ
وَلْتَعْلَمُوا بِأَنَّ نِي	دَوْمًا عَلَى أَشْوَاقِيهِ
وَلْتَتَرَكَنَّ مِنْ دَعَا	بِدَعْوَةِ فُشُوشِيَّةِ

دَعَوَى بِهِ قَضَائِيَهُ	وَلْتَدْعُهُ مِنْ دُونِ مَا
يُفْلِتُ مِنْ حِسَابِيَهُ	لَعَلَّهُ بِبَهْجِ
وَلْتُرْكُوا رَجَائِيَهُ	لَا تَبْخَلُوا وَلْتُسْرِعُوا
ذِي الْأُهْيَاتِ الْفَائِيَهُ	وَيَعْفُرُ اللَّهُ لَنَا
إِلَّا إِلَهِي تَسَالِيَهُ	فَمَا لَنَا مِنْ حَاجَةٍ
وَالنَّفْسُ مِنْكَ رَاضِيَهُ	فَلْتَقْبَلْهُ يَا أَخِي
بِهِ الْآتِيَهُ	وَلْتَسْمَحْ مِنْ زَوْجَاتِنَا
يُشْبِعُ بَطْنًا حَاوِيَهُ	عَسَى إِلَٰهُهُ رَبُّنَا
يُضْفِي عَلَيْنَا الْعَافِيَهُ	يُكْرِمُنَا بِفَضْلِيهِ

فَرَحٌ بِالنِّيَابَةِ

قال الشاعر الجراي مخاطبا الدكتور التويجري وقد دعا الجماعة إلى مأدبة

أقامها بمنزله:

بِالْأَمْسِ⁽¹⁾ فِي جَلْسَةِ وَالنَّادِي مُلْتَمِّمٌ
وَالْبِشْرُ يَمْلَأُهُ وَالْفَرْحُ يَغْمُرُهُ
وَقَالَ: « قَدْ فُرِحْتُ لَا عَادَ مُشْكِلُهَا
أَبُو نِزَارٍ غَدَا الدَّاعِي لِمَأْدَبَةٍ
إِذْ صِرْتُ فِي بَهْجٍ مِنْ بَعْدِ مَا كَمِدِ
وَلَمْ أَعُدْ مُلْزَمًا بِالْفُؤُولِ أَطْبِخُهُ
كَذَا يَقُولُ وَفِي زَهْوٍ بِمَا ظَفِرْتُ
جَاءَ الصَّدِيقُ أَبُو الْعَبَّاسِ⁽²⁾ يَبْتَسِمُ
كَأَنَّمَا هُوَ مَنْ أَثْرَى وَيَغْتَمُّ
وَلَا بَدَأَ مِنْ صَدَاهَا الشَّعْرُ وَالنَّعَمُ
يُتُوبُ عَنِّي بِهَا كَأَنَّهَا حُمٌ
وَرَأَى مَا كَانَ فِي نَفْسِي يَضْطَرُّ
وَلَا بِطُنْجِيَةِ كَانُوا بِهَا وَهْمُوا
بِهِ يَدَاهُ فَلَا دِينَ وَلَا شَيْءُ

أَبَا نِزَارٍ وَإِنِّ سَابَقْتَنِي كَرَمًا
إِنْ نُبِتَتْ عَنِّ أَحْمَدٍ فِي الْوَعْدِ لَا حَجْبُ
فَالسَّبْقُ طَبْعَكَ لَا يَخْفَى وَذِي الشِّيمِ
فَقَدْ عَمِدْتُكَ لِلْحَيْرَاتِ تَقْتَحِمُ

(1) الجمعة 12 صفر 1428هـ الموافق 2 مارس 2007 (جلسة النادي الجراي).

(2) الإشارة إلى الأديب أحمد حسن العماري.

عَوَّدَتْنَا زُرْدَاتٍ لَيْسَ يُشْبِهُهَا
 وَالْبَيْتُ عِنْدَكَ مَفْتُوحٌ لِزَارِهِ
 لَأَرِلْتُ تَسْمُو إِلَى الْعَلِيَاءِ مُعْتَلِيًا
 لَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَسْوِقُ الْقَوْلَ فِيكَ ثَنَا
 وَلْتَهَبْ أُمَّ زَارٍ بِالَّذِي رَزَقَتْ
 وَالشُّكْرَ لَيْسَ بِكَافٍ فَالَّذِي صَنَعَتْ
 مَا عِنْدَ حَاتِمِهِمْ أَنَّى لَهُ الْكَرَمُ
 الْعَرْبُ أَنْتَ لَهُمْ قَصْدٌ كَذَا الْعَجْمُ
 أَعْلَى الْمَعَالِي فَذَلِكَ الْعِزُّ وَالشَّمَمُ
 فَأَنْتَ فِيهِ لَعْمَرِي الرَّأْسُ وَالْعَلَمُ
 فُخْرٌ وَعَجْدٌ وَخِيمٌ كُلُّهُ قِمَمُ
 فِي ذِي الْمَادِبِ لَا يَكْفِيهِ ذَا الْكَلَمُ

وَالآنَ دَوْرِي أَنَّى كَمْ كُنْتُ أَرْقُبُهُ
 قَدْ كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَسْعَى لِتَصْفِيَةٍ
 عَبْدُ الْعَزِيزِ الَّذِي يَخْطَى بِمَنْزِلَةٍ
 لَكِنَّهُ وَعَلَى عَادَاتِهِ أَبْدًا
 مَهْمَا يَكُرُ فَأَنَا رَاجٍ قَبُولِكُمْ
 وَإِنْ تَأَخَّرَ عَمَّا كُنْتُ أَعْتَرِمُ
 مِنْ قَبْلِ خَلِيِّ الَّذِي دَانَتْ لَهُ الْهَمَمُ
 وَالنَّاسُ أَجْمَعُهُمْ لِحُكْمِهِ آخَتَكُمُوا
 لَهُ الْمَكَارِمُ فِي آثَارِهِ تَسِمُ
 لِدَعْوَتِي وَلَعَلِّي الْأَمْرُ أَخْتَمُ

تَبَاطُؤُ أَبِي نِزَارٍ فِي التَّنْفِيدِ

وتأجلت مآدبة الشاعر عبد العزيز التويجري بسبب أسفار تتابعت، فكتب إليه الشاعر الجراي، قال:

مَاذَا التَّبَاطُؤُ فِي تَنْفِيدِ دَعْوَتِكُمْ وَالْكَلُّ مُنْتَظَرٌ وَالشَّوْقُ هَادِينَا
إِلَى مَرَابِعِكُمْ - عَبْدَ الْعَزِيزِ - وَقَدْ كِدْنَا بِنَاسٍ مُجَافِي أَلُودٍ دَاعِينَا
أَلَّا يَكُونَ الَّذِي أَوْدَى بِرِزْدَتِكُمْ عُدْرٌ يَضِيعُ بِهِ الْحُبُّ الَّذِي فِيْنَا
حُبُّ إِلَيْكَ وَحُبُّ لِلَّذِي وَعَدْتِ أُنْيَا شِعْرَكَ تُسَلِّينَا وَتُعْرِينَا
إِنِّي ذَكَرْتُكَ فِي ذِكْرِي مُنْظَمَةٍ⁽¹⁾ لِكَيْهَا لَيْسَ تُلْهِينَا وَتُنْسِينَا
وَعَدَّ الْأَجْبَةَ إِنْ تُخْلِفُهُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْمَادِبُ تَثْرَى لِلْمُحِبِّينَا
وَالشَّعْرُ لَيْسَ بِمُغْنٍ عَن مَوَائِدِكُمْ فَإِنَّهُ لَوْ يُسَلِّي لَيْسَ يَكْفِينَا
فَلْتُدْرِكْنَهُ أَجْحِي فَالصَّدْرُ صَاقَ بِهِ وَأَشْتَاقَ مِنْكَ صُحُونًا وَالطَّوَّاجِينَا
عَجَلٌ وَلَا تَتَوَاتِ الْيَوْمَ قَبْلَ عَدِ تَأْخِيرٌ وَعَدْلَكَ قَدْ يُعْجِي وَيُضْنِينَا
أُنْجِزْ فَتِلْكَ نُفُوسٌ بِالْهَوَى فَنَيْتِ وَبِالرِّيَاحِينَ قَدْ مَدَّتْ أَيَادِينَا

(1) يوم الخميس 15 ربيع II 1428 هـ الموافق 3 مايو 2007، إذ ذُكرني احتفال الإبيسيكو بعيده الفضي أن أذكر بوعد سيادة المدير. [الشاعر].

الولد ينقذ أباه

عجباً للصدیق الأستاذ أحمد العمارتی کیف لم ینتبه إلی أن تسابقی وسیادة الدكتور عبد العزیز بن عثمان التویجری لإنقاذ الموقف، مع ما جاء به فی آخره من معاتبة لسیادته علی التأخیر، إنما كان من قبیل تحریک همته الأحمدیة وحفز قریحته العمارتیة، عساه ینفذ ولو بعد شهر وعوده العرقوبیة عن الطنجیة الشاونیة.

وها نجله الکریم وولده البار، الأریجی الأریب الأستاذ حسن، یسعی بإنصاف وحق إلی دفع والده لتنفیذ ما وعد به؛ لاسیما وقد أثیر الحدیث عن هذا الأمر فی مكة المكرمة، حیث رافق معالی المذیر العام والدكتور مصطفی الزباخ فی مهمة للمنظمة، وها هو یسارع إلی الحسم فی هذا الأمر نیابة عن والده، یأخذ مبادرة الدعوة للزردة التي کم تباطأ والده فی إقامتها، والتي حدد لها ظهر الأحد 12 جمادی الأولى 1429هـ الموافق 18 مای 2008م وذلك ما جعلنی أقول:

فَرَجَّتْ أَزْمَةَ الطَّنَاجِي يَا حَسَنُ يَا بَنَ الْأَكَارِمِ بِفِعْلِكَ الْحُسْنُ
أَحْسِنُ بِهِ صُنْعاً وَمَا أَحْسَنَهُ مُسْتَحْسِنًا وَإِنْ مَضَى زَمْنُهُ
حَتَّى وَإِنْ جِئْتَ بِهِ مُؤَخَّرًا « فكلُّ تَأخِيرًا لَهُ بِهَا خَيْرًا »
كَذَا يَقُولُ مَثَلٌ قَدِيمٌ وَهُوَ لَهُ مَغْزَى بَدَا عَظِيمٌ
لِذَا عَدَتْ بُطُونُنَا مُهَيَّاءَ لِزُرْدَةِ قُدُورِهَا مُعْبَأَةً

تُرِيدُهَا مَا دُبَّةً بِطُنْجِيَّةٍ أَصِيلَةً لَا بِأَبْيَصَارَا الزَّيْتِيَّةِ
إِيَّاكَ وَالذُّودَ الْمَسْمَى أَنْكَوْلَاصُ تَقْدِيمُهُ يَدْفَعُنَا إِلَى الْقَصَاصِ
إِذْ ذَاكَ إِنْ نَحْبُ رَضِينَا الْأَمْرَا يَكُنْ أَبُوكَ بِالْهَذَا قَدْ سُرَا
شُكْرًا لَهُ فِي الْحَلِّ وَالزَّرْحَالِ إِذْ لَمْ يُحْيِبْ مَطْمَحَ الْأَمَالِ
نَدْعُو لَهُ بِالْحِفْظِ ثُمَّ الْعَافِيَّةِ تَرْقِيهِ آيَاتُ آلِ اللَّهِ الشَّافِيَّةِ
كَذَاكَ أُمُّ حَسَنِ وَمَنْ لَهَا فَضَّلْ عَلَى جَمْعِنَا ذَا وَإِنْ لَهَا
وَلْتَعْمُوا بِأَنْتَ وَعَدِي قَائِمٌ فَإِنَّهُ وَإِنْ نَأَى لَدَائِمِ
حَتَّى تَرَوْا طَوَاجِرَ التَّرْبَاطِ رَفِيعَةً مِنْ دُونِ مَا إِخْبَاطِ
وَالْحَتْمِ فِي ذَا الْأَمْرِ لَيْسَ يُجْهَلُ وَهُوَ الَّذِي جَرَى بِهِ وَيُعْمَلُ
فَالْقَضْدُ عِنْدَنَا بِذَا مِرَاحُ عَسَى الْهُمُومُ أَنْ تُرَى تِرَاحُ
وَيَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا جَمِيعاً تَرْجُوهُ رَبّاً رَاحِماً سَمِيعاً
إِلَيْهِ تَرْفَعُ الْأَكْفَفُ عَلَمَا بِأَنْ رِزْقَهُ يَعْمُ دَوْمَا

طَنْجِيَّةُ الشَّائُونَ

بعد أن تأخرت مآدبة الأستاذ التويجري، بادر الأديب أحمد حسن العمارتي
- في لقاء جمعهما - إلى تذكيره بوعده، فكتب عبد العزيز مجيباً ومذكراً بالطنجية
الشاونية، قال⁽¹⁾:

رَأَيْتُ الْعَمَارَتِي حَاضِراً فِي وِلِيمَةٍ بَدَارِ الْيَمَانِي مُشْرِقَ الْوَجْهِ بِاسِمَا
وَبَادَرَنِي بِالْقَوْلِ أَيُّ عَشَاؤُنَا فَقَدْ طَالَ مِنَّا الْاِئْتِظَارُ مَوَاسِمَا
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّي حَرِيصٌ وَصَادِقٌ وَلَكِنَّ أَشْفَارِي تَعُوقُ الْمَرَامَا
وَكَسْرُ أَصَابِ الْأَخْتِ نَزْجُو شِفَاءَهُ فَقَالَ لَقَدْ قَامَتْ وَفَكَتْ طَلَابِمَا
وَعَبَّاسٌ فِي خَيْرٍ وَرَبَّاحٌ مِثْلُهُ فَعَجَّلْ لَنَا وَعِدّاً سَرِيعاً وَحَاسِمَا
فَمَا كَانَتْ إِلَّا أَنْ أَجَبْتُ سُؤَالَه لِحَوْفِي مِنَ التَّقْدِ الَّذِي كَانَ وَاسِمَا
وَلَكِنِّي مَازِلْتُ أَدْعُوهُ أَنْ يَفِي بِوَعْدِ لَنَا فِي الشَّائُونَ أَصْبَحَ قَاسِمَا
فَمَا كَانَ مِنْ سَبْقِي فَلِلْإِبْنِ فَضْلُهُ وَيَبْقَى لَنَا حَقٌّ سَنَلْقَاهُ طَاسِمَا
فَأَهْلًا بِأَحْبَابِ نُسْرُ بِقُرْبِهِمْ لَهُمْ عِنْدَنَا قَدْرٌ يَفُوقُ الْأَنَاسِمَا

(1) كتبت هذه المقطوعة بتاريخ 17 يونيو 2008.

على إثر المأدبة الأحمدية الفاخرة التي جاءت بعد انتظار طويل وكانت قد سبقها الضيافة الزبائية المتميزة، ظن البعض أن قضية عشاء الأنجولاس بشفشاون الجميلة قد تم فيها الحسم وأغلق ملفها، لولا أن الأريحية المتفردة للصديق الكريم الأستاذ الدكتور عبد العزيز عثمان التويجري أبت إلا أن تتعقد جلسة الإغلاق في بيته العامر مساء هذا اليوم وبما أن مجال التسابق للخيرات واسع وفسيح، فقد أبيت بدوري إلا أن يكون طي الملف على يدي وفي منزلي، بعد الاستمتاع بما لذ وطاب من ميده العززية، فدعوت إلى لقاء عندي قريب أمل أن يكون به حسن الختام، وقلت⁽¹⁾:

قَالُوا: « انْقَضَى زَمَنٌ بِهِ دُودٌ يُشَارُ
تِلْكَ الْمَوَائِدُ إِذْ تَوَالَى مَدَّهَا
هَازِي مَوَائِدُ أَحْمَدٍ وَالْمُضْطَفَى
هَآ هُوَ ذَا حَسَبٍ⁽²⁾ يَتِيَهُ لِمَدَّهَا
فَأَجَابَ: « لَا إِلَهَ إِلَّا رَبُّكُمْ الَّذِي
لَا يَدُّ مِنْ حَتْمٍ عَلَيَّ أَدَاؤُهُ
أُحْبُو بِهِ مُتَبَاطِئًا مَا قَدْ جَرَى
طُوبَى الْمَلْفُ وَأُسْدِلَتْ أَسْتَارُ
أَسْتُ دُوِيدًا لِلصُّيُوفِ يَدَارُ
نَيْلَتْ بِهَا دَرَجَاتٌ عَزَّ وَأَعْتَبَارُ
مَعَ زَيْنِبٍ⁽³⁾ وَأَنْيَسَةَ⁽⁴⁾ دَوْمًا مَنَارُ
تَدْبِيرُهُ لِلأَمْرِ حَتْمٌ لَا أُحْتِيَارُ
فَوُجُوبُهُ أَضْحَى لَدَيَّ قَرَارُ
إِذْ بَطَّءُ مَا دُبَّةٍ كَذِي عَارٍ شَنَارُ

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة في مدينة الرباط، مساء الأربعاء 14 جمادى الثانية 1429هـ الموافق 18 يونيو 2008.

(2) حسن العمارتي، ابن الأديب أحمد العمارتي.

(3) زينب حرم الأستاذ أحمد حسن العمارتي.

(4) أنيسة ابنة الأستاذ أحمد حسن العمارتي

نَعْمَ الْجَوَابُ أَخِي التَّوْبِجُرُ مَنْ لَهُ سَبَقَ الْمَكَارِمِ إِذْ إِلَيْهِ يُشَارُ
لَا عَزْوٌ أَنْ تَدْعُو لِرِزْدَةِ إِخْوَةٍ عَرَفُوا مَقَامَكَ وَالْمَقَامُ فَخَارُ
كَرَمٌ وَحُسْنُ الْحَيْمِ مَنْ سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ فَهُوَ لَهَا مِثَالٌ بَلْ شِعَارُ
وَتَرِيئُهُ أُمَّ النَّزَارِ بِفَضْلِهَا أَكْرَمَ بِهَا فَالْفَضْلُ لَيْسَ يُعَارُ
فَهِيَ الَّتِي فَاقَ الْحَدِيثَ صَنِيعُهَا مِثْدَاتُهَا ذَاعَتْ بِهَا الْأَشْعَارُ
هَذَا الدَّلِيلُ لِمَنْ أَرَادَ أدِلَّةً نَحْبُ الشُّهُودِ وَكُلُّنَا ذَكَارُ
وَالآنَ دَوْرِي جَاءَ وَإِنْ مُتَأَخَّرًا لِيَكُونَ حَتْمَ الْأَمْرِ لَيْسَ يُمَارُ
وَيَكُونَ قَدْ طُوِيَ الْمَلْفُ نِهَائِيًّا لَا عَادَ ذِكْرُ الدُّودِ فِيهِ يُشَارُ
فَحَمِيدَتِي بَعْدَ الشِّفَا مِنْ وَعَكَةٍ فِي غَبْطَةٍ بِالرَّبْعِ حِينَ يُرَارُ
قُولُوا مَتَى ذَا الرَّبْعِ يَشْرَفُ مُسْعَدًا وَالْفَرَحُ بَادَ بِكُمْ وَالرَّبُّ غَفَّارُ

وبعد تأجيل طال أمدّه جاء دور الدكتور عبد العزيز التويجري، لبسط موائده التي حفرت الشاعر مصطفى الزباخ لنظم قصيد بعنوان: لقاء عزيز، قال:

تَزِي الصَّفَائِنِ خُلَانٍ لَهُمْ كَرْمٌ	إِنْ طَالَ شَوْقِي إِلَى لُقْيَا بِهَا هَمٌّ
أَمْوَاجٍ بِصُحُوبِ الْخَيْرِ تَزْتَطِمُ	فَعِنْدَ أُمِّ زَارٍ ⁽¹⁾ مِنْ طِيبِ الْعِدَا
لِلطَّهِيِّ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ أَكَلُهُ نَعْمٌ	فَلْتَهِنِ يَا حِلُّ الْعَزِيرِ فَرُوجُكُمْ
فِينَا بِمَا كَثُرَتْ بِجُودِكُمْ نَعْمٌ	عَبْدَ الْعَزِيرِ فَمَا أَبْقَيْتِ مُتَّسِعًا
تَزْهُو بِهَا فِي الْفَلَا مِنْ غَيْشِكُمْ دَيْمٌ	هَذِي الْأَطَايِبُ فَخْرٌ مِنْ مَفَاخِرِكُمْ
زَلْنَا بِلَدَّتِهَا نَمُضِي وَنَلْتَهُمْ	لَكِنْ وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّا شَبِعْنَا وَمَا
لَكِنَّ أَجُودَهُمْ مِنْ جُودِهِ الْقَلَمُ	يَجُودُ نَاسٍ بِمَالٍ عِنْدَهُمْ شَرَفٌ
تَشْدُو بِهَا فِي الدُّنَا الْأَعْرَابُ وَالْعَجَمُ	مَنْ فِي مَوَائِدِهِ عِلْمٌ وَمَكْرَمَةٌ
وَيَنْمَحِي اسْمُ مَنْ جُودُهُ الْعَنَمُ	يَبْتَقِي كِرَامَ اللَّهِ نُورًا عَلَى الزَّمَنِ
وَتَأْجُهَا فِكْرٌ تَعْلُو بِهَا الشِّيمُ	تَزْهُو مَوَائِدُهُ مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ

(1) حرم الدكتور عبد العزيز التويجري.

وأنشأ الشاعر عبد العزيز التويجري في سياق هذه المساجلة، قال⁽¹⁾:

أَقْمَنَّا كَمَا شِئْنَا أَوْلِيْمَةً إِنَّمَا وَجَدْنَا الْعَمَارَتِي طَامِعاً فِي تَعَدُّدِ
فَقُلْنَا لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبَا وَلَكِنْ إِذَا وَفَّيْتِ وَعْداً بِمَوْعِدِ
فَلَا زَالَ دَيْرٌ آخِرٌ فِي جِرَابِكُمْ لَنَا غَيْرُ مَثْرُوكٍ وَلَيْسَ بِمُبْعَدِ
هُوَ الطَّنْجِيَّةُ الْمَشْهُورُ صِيَتْ لَهَا عَلَا بِشَاوُنَ لَنْ نَرَضَى لَهَا بِالْتَرَدِّدِ
فَعَجَّلْ بِهَا يَا صَاحِ قَبْلَ صِيَامِنَا وَأَفْسِخْ لِرَبَاخِ الطَّرِيقِ وَمَهْدِ
فَقَدْ طَالَ مِنَّا الْإِنْتِظَارُ لِمَطْعَمِ بِشَاوُنِ فِي كَاذَا حَسَبِ غَيْرِ مُفْرَدِ
وَنَحْتِمُ هَذَا الْعُرْسَ عِنْدَ كَبِيرِنَا عَمِيدِ الْعُلُومِ النَّافِعَاتِ الْمُجَدِّدِ
هُوَ الشَّهْمُ عَبَّاسُ الْجِرَارِيِّ صَدِيقُنَا وَنَعْمَ خِتَامُ الصَّالِحَاتِ بِمَعْبَدِ
وَنَحْمَدُ مَوْلَانَا عَلِيَّ الْفَضْلِ كُلِّهِ وَتَرْجُوهُ أَنْ يَغْفُوَ عَنِ الذَّنْبِ فِي غَدِ

(1) كتب الشاعر هذه المقطوعة بتاريخ 19 يونيو 2008.

شَفْشَاوُنُ الْهَوَى (1)

ولما كان فضاء شفشاون منطلق هذه «المساجلة الأنجولاسية»، فقد كتب الشاعر مصطفى الزباخ قصيدة تغنى فيها بجمال وحضارة مدينته، قال (2):

شَفْشَاوُنُ الْحُبِّ هَلْ مَا زَالَ يَذْكُرُنِي
أَتَيْتُ مَاءَكَ ظَمَانًا عَلَى لَهَبِ
أَلْوَدُ كَالطَّيْرِ مِنْ حَرٍّ وَمِنْ قَلْقِ
إِلَى جِبَالٍ وَأَشْجَارٍ تُعَانِقُنِي
تَحِيَّةٌ جَنَّتِي كَمْ مَنْبَعِ خَضِرٍ
سِتُونٌ عَامًا مَضَتْ فِي مَوْجِهَا سُفْنِي
إِلَيْكَ جِئْتُ وَفِي مَاضِي الصَّبَا صَلَّةٌ
جِئْنَا إِلَيْكَ بِأَسَدِ الْعُرْبِ مِنْ مُضَرٍ
شَفْشَاوُنُ الْمَاءِ وَالظَّلَالِ هَلْ سَلِمَتْ
رَأْسُ أَلْمِيَاهِ الَّذِي فِي نَبْعِهِ حُلْمِي
لَعَلَّنِي فَيْدَكَ أَلْقَى مَا يَقِي نَهْمِي
إِلَى مَلَاذٍ يُؤَاسِينِي مِنْ الْإِزْمِ
ظِلَالُهَا فِي صَحَارِي أَلَيْمِ وَالسَّامِ
شَرِبْتُ مِنْهُ مِرَارًا مَا شَفَى سَقْمِي
لَكِنَّ شَوْقِي إِلَى لُقْيَاكَ لَمْ يَمِ
بِكُلِّ مُنْتَزِهِ مِنْ أَوْثِقِ الرَّجْمِ
أَبِي نِزَارٍ وَعَبَّاسٍ مَتَى أَلْقَامِ
أَشْجَارِكَ الْخَضِرُ مِنْ قَلْعٍ وَمِنْ هَدَمِ

(1) نشرها الشاعر ضمن ديوانه «أشواق الموج الضامئ»، بعنوان «أشواق لاهية لشفشاون الساحرة»، مع بعض التعديل.

(2) كتب الشاعر هذه القصيدة في الرباط، بتاريخ 13 نونبر 2008.

أَيْنَ السَّوَاكِي أَلَّتِي كَانَتْ لَنَا نَعْمًا
عَلَى صَحَابٍ مَصَّوًا فِي الْهَجْرِ مِنْ زَمَنِ
يَا بِنْتَ أُنْدُلُسٍ، غَزَنَاطَةٌ أَنْتِ هَلْ
أَيْنَ الْأَجْبَةُ، هَلْ مَا زَالَ مَرْبَطُهُمْ
رَمَى النَّصَارَى بِهِمْ فِي كُلِّ مَقْبَرَةٍ
هَذِي الطَّرِيقُ إِلَيْكَ كُنْتُ أَعْرِفُهَا
أَيْنَ الصَّحَابِ أَرَى فِي وَجْهِهِمْ عِلَلًا
أَيْنَ الطُّيُورِ أَلَّتِي عَنَّتْ لَنَا زَمَنًا
لَكُمْ حَصَارَتُكُمْ تِلْكَ أَلَّتِي عَصَفَتْ
كَانَتْ سَوَاكِيكَ أُنْسًا فِي مَرَابِعِنَا
فَكَيْفَ أَمْسَحُ جُرْحًا قَدْ بَرَى كَبْدِي
هَذِي الدُّرُوبُ لَهَا فِي مَنْشَأِي قِصَصٌ
بَيْنِي وَبَيْنِكَ فِي هَذِي الرُّبَا نَسَبٌ
أَلَا يَزَالُ لَهُمْ فِي الدَّارِ مِنْ أَتْرِ
فَأَيْنَ دَارِي أَلَّتِي كَانَتْ بِهَا كُتُبِي
شَفْشَاوُنَ الْخَيْرِ جِئْتُ مِنْ دُنَا الصَّجْرِ

جَفَّتْ مَدَامِعُهَا حُزْنًا مِنْ الْعُغَمِ
نَاسِينَ عَهْدَ الصَّبَا الْأَوْفَى بِلَا نَدَمِ
بَاقٍ هَوَالِكِ لَنَا أُمُّ صَارَ فِي صَمِّ
لِلْخَيْلِ مَسْكَنُهُ أُمُّ مَرْقُصِ الْعَجَمِ
وَكُنْتُ قَبْلَهُمْ فِي الْحَبِّ وَالْكَرَمِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْتَبَاحَ أَرْبُعِ الدِّمِ
حَلَّتْ بِهِمْ قَبْلَ سَهْمِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
أَفْرَاحُهَا هَاجَرَتْ تَوْقًا إِلَى الْقِمَمِ
يُرُوجِنَا وَلَنَا بَدَاوَةُ السَّلْمِ
وَأَلْيَوْمَ صَارَتْ لِيَانِي الصَّخْرِ فِي عَدَمِ
وَمَاؤُكَ الْعَذْبُ يَجْرِي فِي فَلَا الْأَجَمِ
تَهْفُو بِحُزْنٍ إِلَى أَرْكَانِهَا قَدَمِي
أَيْنَ الْخُؤُولَةُ وَالْأَعْمَامُ فِي اللَّحْمِ
أُمُّ صَارَ مَرْكَبُهُمْ مِثْلِي إِلَى ظَلَمِ
لَمْ أَدْرِ أَيَّ يَدٍ جَارَتْ عَلَى الْخُرْمِ
بِلَا شَبَابٍ وَلَا دَعْوَى مِنْ أَلْتَهُمِ

تَقُودُنِي (لِوَطَا) الْحَمَامَ مَرْكَبَةً
يَا قِبْلَةَ الْفَرَسِ حَيَّا اللَّهُ جَنَّتْهَا
آتٍ عَلَى ظَمَاءٍ (الْوَادِي الْكَبِيرِ) فَهَلْ
تَلُومُنِي فِي الْهَوَى الصُّوفِيِّ أَلْسِنَةً
مَوْلَايَ عَبْدَ السَّلَامِ جِئْتُ مُلْتَمِسًا
فِي ذِكْرِيَاتِ الصَّبَا سَيْلٍ مِنْ الْكَلِمِ
وَصَانَهَا لِلْمَعَالِي نَجْمَةً الْأُمَمِ
مَا زَالَ يَجْرِي كَمَا قَدْ كَانَتْ مِنْ قَدَمِ
وَلَوْ صَحَا عَاقِلٌ فِي الْفَجْرِ لَمْ يَلْمِ
عِلْمَ الْيَقِينِ فَقَلْبِي مِنْجَمُ الْحِكْمِ

كتب الشاعر عباس الجراري، قال:

عشية يوم الثلاثاء 22 جمادى الثانية 1430هـ الموافق 17 يونيو 2009م، ونحن في المركز الثقافي المصري الذي كان سيقدم قراءة لكتاب الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري (على طريق تحالف الحضارات)، لاحظت - كما لاحظ غيري - أن المؤلف الصديق بدا بلحية نمت الذقن والشارب (أكويدهما كما نسميها في المغرب) فاستغربت للأمر. وما أن افترقنا بعد الجلسة، وعدت إلى البيت، حتى كتبت له هذه الدعابة الشعرية:

وَجْهَ التَّوَيْجِرِيِّ أَرَى	فَمَا لَهُ مُعَيَّرًا
مُعَرَّفًا أَعْرِفُهُ	فَصَارَ لِي مُنْكَرًا
بِلِخْيَةٍ قَدْ كَشَفَتْ	مَشِيْبَهُ الْمُسْتَرًّا
رَغْبَاتِهِمْ كَا كَفَشَلِ	أَوْ نَبْتَةٍ فَوْقَ الثَّرَى
(كُوَيْدِمَا) صَغِيرَةٌ	مَعَ (شَارِبٍ) عَطَّى الْعَرَا
قَدْ غَيَّبَتْ مَلَامِحًا	كَانَتْ تَفُوقُ الْقَمَرَا
فَمَا الَّذِي إِفْتَرَفَهُ؟	فَلْيُعْلَمَنَّ بِمَا جَرَى
هَلْ صَدَرَتْ أَوَامِرُ	وَلَمْ يَكُنْ مُحَيَّرَا
مِنَ الَّتِي بِحُجْبِهَا	قَدْ كَانَتْ دَوْمًا مُجْبَرَا

مِنْ غَيْبَةٍ⁽¹⁾ عَنْهُ أَتَتْ غَدَا بِهَا مُكَدَّرَا
 أُمُّ نِزَارٍ لَا تَشَا وَجَاهًا كَذَا مُعْبَرَا
 أَمْ هَلْ هُنَاكَ دَافِعٌ صَارَ بِهِ مُصَيَّرَا ؟
 فَلْيُسْرِعْ لِحَلْقِهَا وَلَا يَكُنْ مُحَيَّرَا
 بِالْمُوسَى أَوْ بِآلِهِ وَلْيُفْعَلْ كَمَا يَرَى
 إِيَّاهُ أَنْ يُبْقِيَهَا حَذَارِ أَنْ يُؤَخَّرَا
 وَحُبُّ فِي أَنْتِظَارِ أَنْ تَرَى الْمَلِيحَ النَّيَّرَا
 عَبْدَ الْعَزِيزِ وَالَّذِي نَبِيهِ دَوْمًا أَزْهَرَا
 وَإِنْ بَدَا مُتَّعًا أَوْ خَافَ أَنْ يُعَيَّرَا
 فَإِنَّا رَضَدُّ لَهُ بِهَجْمَةٍ بِلَا مَرَا
 بِالتَّخْفِ لَا بِالْحُلُقِ حَتَّى يَغْدُونَ مُشَهَّرَا
 يَنْقَى بِهِ دَرْسًا لِمَنْ قَدْ أَدَّعَى أَوْ أَفْتَرَى
 بِأَنْ دِينَنَا أَتَى بِمَوْقِفٍ قَدْ سَطَّرَا
 حَاشَاهُ لَيْسَ مِثْلُهُ بِمِثْلِ ذَا قَدْ أَنْبَرَى

(1) كانت زوجته الفاضلة السيدة أم نزار في سفر إلى مونتريال بكندا عند كريمتهما الأتسة ريم التي تدرس هناك.

فَالْأَمْرُ لَا يَغْدُو بَإْتًا يَكُونُ غُرْفًا قَدْ سَرَى
لِكُلِّ عَضْرٍ ذَوْقُهُ وَمَا يَرَى بِلَا أَمْتِرَا
وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَنَا وَلَا يَكُنْ مُعْزِرَا

فكتب الدكتور التويجري مجيباً، قال⁽¹⁾:

إلى أخي الكريم الأستاذ الدكتور عباس الجراري، رداً على قصيدته الجميلة
المملوءة دعابة ومحبة.

عَبَّاسُ تِلْكَ لِحَيَّةٌ جَدِيدَةٌ كَمَا تَرَى
وَمَا لَهَا عَاقِلَةٌ بِالْيَدَيْنِ حَاشَا الْإِفْتِرَا
وَلَمْ أَكُنْ مُوسِسًا وَمَا قَصَدْتُ مُنْكَرًا
وَأَنْتَ مَا وَجَاهَةٌ بِالشَّيْبِ بَعْدَ مَا طَرَا
فَقَدْ سَمِمْتُ حَلْقَهَا وَالْجُرْحُ مِنْهُ مَا بَرَا
فَإِنْ أَجَابَتْ حَاجَتِي فَذَاكَ بَيْعِي وَالشِّرَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ رُبَّمَا أُزِيلُهُ بِأَمْرَا
وَلَنْ تَكُونَ حَاجَةً لِهَجْمَةٍ أَوْ أَرْدَرَا
وَلِحَيَّتِي خَفِيفَةٌ تُبْئِدِي جَمَالًا آخَرَا
فَرُؤُوسِي وَإِنِّي كِلَاهُمَا بِهَا دَرَى
وَقَدْ رَأَيْتُ فِيهِمَا سَعَادَةً بِمَا جَرَى
وَرُبَّمَا قَدْ زَعُورًا وَهَلَّلًا وَكَكْبَرَا

(1) كتب الشاعر هذا الجواب بتاريخ 18 يونيو 2009.

لَأَنَّ ذَاكَ طَارِدٌ لِلْغِيَدِ عَنِّي أَشْهُرًا
فَأَنْبِي فِي وَحْدَتِي مُعْرَضٌ لِمَنْ سَرَى
فَأَرْفُقُ أَخِي بِصَاحِبِ مَا كَانَ يَوْمًا مُجْبِرًا
وَأَضِيزُ عَلَيْهِ فَتْرَةً قَصِيرَةً حَتَّى يَرَى
أَبْنَاكَ رَبِّي دَائِمًا نَعْمَ الصَّدِيقِ الْمُسْفِرَا

العقبة

مساجلة حول عقبة «سارة» بنت السيد حسن العمارتي، وحفيدة السيد أحمد العمارتي والسيدة زينب العمارتي بمنزلهما، صباح السبت 10 جمادى الأولى 1431هـ الموافق 24 أبريل 2010م.

كتب الدكتور عبد العزيز التويجري بهذه المناسبة، قال⁽¹⁾:

دَعَانِي الْعَمَارَتِي لِلْعَقِيَّةِ صَاحِكًا فَسَارَةُ بِنْتُ الْإِبْنِ أَعْلَى مِنَ الْإِبْنِ
فَقُلْتُ لَهُ شُكْرًا وَعُذْرًا لِأَنْبِي عَلَى سَفَرٍ فَأَقْبِلْ مِنَ الْعُدْرِ مَا يُدْنِي
فَقَالَ أَلَا كَلًّا، تَعَالَ هُنَيْهَةً لِنَفْرَحَ بِالْأَحْبَابِ فِي مَحْفَلِ فَتِي
فَحِثُّ لِكَيْ يَرْضَى وَوَقْتِي مُحَدَّدٌ إِلَى خَيْمَةٍ فِيهَا مِنَ الْإِنْسِ وَالْحَيِّ
وَأَجْلَسَنِي وَخُدِي وَرَبْعِي أَرَاهُمْ أَمَاوِي وَمَا عُنْدِي أَنَيْسٌ لِمُمْتَنِّ
وَلَمَّا رَأَى الزَّبَاخُ وَضِعِي وَوَحْدَتِي أَتَى مُسْرِعًا يَرْعَى الْقَدِيمَ مِنَ الْمَنِّ
وَلَاطَفَنِي حَتَّى يُبَدِّدَ دَهْشَتِي وَلَازَمَنِي حَتَّى يُزِيلَ أَلْعَنَا عَنِّي
وَكُنَّا نَعَانِي أَحْرَّ وَالْمَاءُ سَاخِنٌ وَنَأْكُلُ حَلْوَى عَلَهَا جُوعَنَا تَغْنِي

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة في مدينة إسطنبول بتركيا، بتاريخ 25 أبريل 2010.

وَوَطَافَ الْعَمَازِي بِالصُّيُوفِ مُرَجَبًا
وَعَادَزْتُ حَتَّى أَلْحَقَ الرُّكْبَ مُسْرِعًا
فَشُكْرًا لَهُمْ أَنْ أَكْرَمُونَا وَوَعْدُهُمْ
عَسَاهَا تُزِيلُ اللَّهُمَّ عَمَّا أَصَابَنَا
فَعَجِّلْ لَنَا يَا أَحْمَدُ الْوَعْدَ إِنَّا
وَحَاذِرٌ إِذَا مَا طَلَّتْ فَالِشَّعْرُ حَاضِرٌ
وَزَوْجَتُهُ وَأَبْرَهُ نَبِيَهُ كَمَا إِنِّي
وَمَا ذُقْتُ أَنْوَعًا مِنَ الْخُبْزِ وَالْجَبَنِ
لَنَا قَائِمٌ طَنْجِيَّةٌ لَوْهَا بِيَّتِي
وَتُبْقِي لَدَيْنَا دَائِمًا أَحْسَنَ الظَّنِّ
نَخَافُ فَوَاتِ الْوَقْتِ وَالْعُدْرُ لَا يُعْنِي
وَمَدْحُكَ قَدْ يَغْدُو هِجَاءً لِمَا تَجْنِي

فجاء جواب الشاعر عباس الجراري يقول⁽¹⁾:

صَدَقْتَ أَيَا عَبْدَ الْعَزِيزِ مُعَاتِبًا لِأَحْمَدٍ مِنْ بَعْدِ الْعَقِيقَةِ فِي حُزْنٍ
عَقِيقَةُ بِنْتِ الْإِبْنِ يَحُلُّوْا حَتْفَاؤُهَا وَيَهْتَرُ فِيهَا الْجُدُّ بِالرَّقْصِ وَاللَّحْنِ
مَوَائِدُهَا مُدَّتْ بِمَا هُوَ مُشْتَمَى وَمَا لَمْ يَرِدْ فِي الْفِكْرِ أَوْ يَكُ فِي الظَّنِّ
وَخَيْمَتُهَا مِثْلُ الْقَبَابِ سَمَتْ عَلَى مَبَانِي الْقُصُورِ الشَّاسِعَاتِ بِلَا مَنْ
كِبَاشٌ كَأَفْيَالِ سِمَاتٍ تَعَدَّدَتْ عَلَى غَيْرِ مَا فِي مَذَهَبٍ وَبِلَا سَنٍ⁽²⁾
دَخَلْتُ إِلَى ذَا الْحُفْلِ أَفْتَرُ بِهَجَةٍ أَسَائِلُ عَنْ حَيِّ التَّوْبِجِيِّ فِي شَجْنِ
أُجِبْتُ بِأَنْ قَدْ غَابَ مِنْ أَجْلِ مَوْعِدٍ لَهُ قُصْدَ رِحَالٍ بَعِيداً عَنِ الْوَطَنِ
أَسَفْتُ لِهَذَا الْأَمْرِ إِذْ كُنْتُ شَائِقاً لِزُرُوتِهِ فِي ذِي الْعَقِيقَةِ بِالْيَمَنِ
وَعَادَزْتُ حَفْلاً كُنْتُ أَرْجُو حُضُورَهُ لِمَا فِيهِ مِنْ فَرَحٍ وَمَا فِيهِ مِنْ حُسْنِ
وَأُخْبِرْتُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّكَ حَاضِرٌ وَلَكِنْ قَدْ اخْتَرْتَ الْبِعَادَ وَفِي رُكْنِ
وَأَنَّكَ فِي صَنِيقِ حَرْجَتٍ وَلَمْ تَدُقْ كَمَا قُلْتَ لِي شَيْئاً مِنَ الْحُبِّزِ وَالْجُبْنِ
فَمَنْ يَا تَرَى الْمَسْئُولُ غَيْرُ مُضِيفِنَا وَإِنْ كَانَ فِي ذَا الْحُفْلِ مَا هُوَ كَالْوَهْنِ
فَفِي فَتْنَةٍ قَدْ كَانَتْ لِأَشْكَ غَارِقاً يُعَانِي دُوراً بِالْمَتَاعِ قَدْ يُضْنِي

(1) كتبت هذه القصيدة في الرباط، ظهر الأربعاء 21 جمادى الأولى 1431هـ الموافق 5 مايو 2010م.
(2) إشارة إلى المذهب المالكي وإلى السنة؛ ذلك أن عندنا في المذهب يعق للذكر أو للأنثى بشاة، خلافاً لبعض المذاهب كالشافعي الذي جعل للذكر شاتين وللأنثى واحدة.

وَلَكِنَّ هَذَا الْعُذْرَ لَيْسَ مُبَرَّرًا
وَذَلِكَ مَا يَدْعُو لِتَنْظِيمِ رُزْدَةٍ
تُقَامُ لَهَا طَنْجِيَّةٌ شَاوِنِيَّةٌ
وَإِيَّاهُ أَنْ يَنْسَى الزَّبَاحَ فَإِنَّهُ
وَالْأَكْمَا هَدَّدَتْ يُصْبِحُ مَدْحُنَا
لِهَذَا الَّذِي لَا وَصْفَ فِيهِ سِوَى الْعَبْنِ
يُؤَدِّي بِهَا مَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ كَالَّذِينَ
وَأَطْعَمَةٌ أُخْرَى تُدَوَّنُ فِي الْمَثْنِ
شَرِيكَ أَيْتِهَامِ الْأَنْكُولَاسِ وَمَا يَعْنِي
هِجَاءَهُ لَهُ فَلْيَحْذَرَنَّ مِنَ الطَّعْنِ

عَتَابُ الْأَحِبَّةِ عَطَاءً (1)

وكتب الشاعر مصطفى الزباخ معقّباً على عتاب عبد العزيز:

مالي أرى ساحة الأصحابِ هامةً جفّت مَرابِعُها من جفوة المطرِ
ومن برودة لقياء، نازها نحدت فلا سلامٌ ولا يومٌ من السمرِ
تدار فيه كؤوس الشجرِ والتثر ما يُشتمى من حلال البرّ والبحرِ
لكن ومن مجب أن ينزوي كرم عن الصحاب، كرام البذل والبشرِ
بنم وبنا فهل شمس الصفا غربت أم سهمٌ واش زماناً في فلا الجُرِ
أين الأماسي التي أنسابت جداولها شعراً ونثراً وفكراً رائق النظرِ
كانت مؤائدنا للنظم تجمعنا واليوم صارت من الذكرى بلا أثرِ
عبد العزيز شكوت من أخ غير ما كان يدري بأنكم على سفرِ
أما أنا.. لم يكن ودي مجاملةً بله، الوفاء وفرض العين في الفكرِ
وكان عمدتنا، عباس، كوكبتنا في الحفل، نائبتنا، بالعلم والعبرِ

(1) تسلّم د. الجراري هذه القصيدة من صاحبها عشية الجمعة 24 سبتمبر 2010م. وقد نشرها الشاعر مصطفى الزباخ ضمن ديوانه «أشواق الموج الطامئ» تحت عنوان «جفاف موسم الربيع» مع بعض التعديلات.

دَعَّ عَنْكَ لَوْمَ عَزِيزِ شَقَّةِ الْعَثْبِ فَهُوَ الْوَفِيُّ لَكُمْ فِي السَّعْدِ وَالصَّرْرِ
وَأَرْجِعْ لِنَادِي الصَّفَا قَدْ طَالَ نَأْيُكُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْ جِمَارِ الشُّغْلِ وَالسَّفْرِ
فَهَلْ تَعُودُ بِنَا الْأَيَّامُ لِلْأَدْبِ فَهِيَ الْغِدَاءُ لِقَلْبِ مَوْطِنِ الْقَمْرِ

لَيَالِي الْأُنْسِ

كتب الشاعر عبد العزيز التويجري مساجلا⁽¹⁾:

أَتَانِي مِنَ الرَّبَّاحِ شِعْرٌ، مُعَاتِبًا
وَأَجْدَبٌ مُخْضَرُّ الْمَوَدَّةِ بَعْدَمَا
وَعَابَتْ لَيَالِي الْأُنْسِ وَأَنْفَصَ سَامِرٌ
فَهَيَّجَ أَشْجَانِي لِعَهْدٍ وَعُضْبَةٍ
وَدُودٍ تَدَوَّقْنَاهُ فِي شَاوِنِ الْيَتِي
فَمَهْلًا أَحْيَى الرَّبَّاحُ فَالْحَيْرُ قَادِمٌ
وَمِنْ تَمَّ تَتْلُوهُ الْوَلَائِمُ كُلُّهَا
وَلَكِنَّ لِي شَرْطًا أُرِيدُ ضَمَانَهُ
وَعَبَّاسُ شَيْخِ الْقَوْمِ يَشْهَدُ أَنَّي
وَمَهْمَا وَجَدْنَا لِلْعَمَارَتِي مَخَارِجًا
فَشُكْرًا أَحْيَى الرَّبَّاحُ فَالْفَضْلُ كُلُّهُ
يَقُولُ جَفَاهُ الصَّحْبُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
تَنَاقَصَ عَنْهُ الْقَطْرُ فِي مَهْمِهِ قَفْرٍ
فَلَا شِعْرٌ يَثْلَى أَوْ بَدِيعًا مِنَ النَّثْرِ
وَطَنْجِيَّةٍ عِنْدَ الْعَمَارَتِي لَهَا نُجْرِي
عَقَدْنَا بِهَا جَمْعَ الْكِرَامِ ذَوِي الْقَدْرِ
وَأَوَّلُهُ حَفْلٌ سَتُحْيِيهِ فِي الْقَضْرِ
وَيَرْجِعُ عِنْدَ الْأُنْسِ وَالنَّثْرِ وَالشَّعْرِ
فَمَا ضَاعَ مِنْ حَقِّي يَعُودُ عَلَى الْفَوْرِ
بِذَاكَ حَقِيقٌ لَا أَبَالِغُ فِي أَمْرِي
فَلَابَدًا أَنْ يَدْعُوا الصِّحَابَ إِلَى الْقَدْرِ
يَعُودُ لِمَنْ يُبْقِي الْوِدَادَ مَدَى الدَّهْرِ

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة بتاريخ 28 شتنبر 2010.

كتب الدكتور عباس الجراري مخاطباً الدكتور التويجري⁽¹⁾:

إلى معالي الأخ الأود

الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

حفظه الله

تحية طيبة مباركة

وبعد، فعلى إثر عودتي من الأردن أول أمس، حيث افتقدك أحباؤك أعضاء مؤسسة آل البيت، سعدت بقصيدتك الرائعة التي تُشهدني فيها بأنك صاحب حق ضيعه الصديقان العزيزان الأستاذ الدكتور مصطفى الزباخ والأستاذ أحمد العمّارتي، فأحبيت - اعترافاً لك ولي كذلك بالحق - أن أجيب بهذه الأبيات التي تجدها رفقتة.

كَفَّانِي أَحْيَى عِنْدَ الْعَزِيزِ بَدَا الْقَدْرُ
فَقَدْ طُويَ الْفُرْطَاسُ بَعْدَ أَنْطَفَا الْقَدْرُ
فَلَمْ يَعُدِ الزَّبَاخُ يُوفِي بِعَهْدِهِ
وَمَا كَانَتْ وَعْدًا مِنْهُ بِالطَّبْلِ وَالزَّمْرِ
فَعُذْرٌ لَهُ بِالْعُزْسِ لَيْسَ بِمُقْنِعٍ
نُبَارِكُهُ لِكِنَّهُ لَيْسَ بِالْعُذْرِ
كَذَاكَ أَبُو الْعَبَّاسِ صَاحِبَ دَعْوَةٍ
لِطَنْجِيَّةٍ كَالْوَهْمِ مَلَّتْ مِنَ الدِّكْرِ

(1) كان ذلك بمدينة الرباط، صباح الاثنين 25 شوال 1431هـ الموافق 4 أكتوبر 2010م.

سُنُوتٌ مَصْنُوتٌ مُنْذُ أَدْعَاءِ وَليمةٍ
وَكَمْ مِنْ عِتَابٍ عَنْ تَأْخُرِ زُرْدَةٍ
فَمَا الطَّنْجِيَّاتُ الْحُقُوقُ - عُرْفًا - سِوَى الَّتِي
وَحَكْمَتِي فِي ذِي القَضِيَّةِ أَمَلًا
فَأَيُّهُ أَعْدَارٌ تُرِيدُ التَّمَسَّهَ
مَخَارِجُ قَدْ تَبَدُّو لِكُلِّ مُلَمَّةٍ
فَكَيْفَ تُرَجِّي أُنْ تَنَالَ ضَمَانَةَ
سِوَى أَنْ تَكُونَ أَشْتَقْتِ حَقًّا لِأَذْبَةِ
فَلَا تَطْعَمَنَّ - ثِقُ بِبِي - بَعِيرٍ بِصَارَةِ
وَإِنِّي وَأَيْمُ اللهِ أَشْهَدُ أَنَّنَا
فَوَاللهِ لَا نَرِضَى بِغَيْرِ وَليمةٍ
دَجَاجٍ وَأَسْمَالٍ وَمَا أَنْتِ تَشْتَهِي
كَذَلِكَ تُرِيدُ بِالْحَمَائِمِ فَوْقَهُ
وَلَا تُنْسِيَنَّ الْفَاكِهَاتِ فَإِنَّهَا
تَلِيهَا كُؤُوسُ الشَّايِ وَالْكَحْكُ صِنُوهَا
وَتَشْنِيفُ أَسْمَاعٍ بِتَرْزِيمِ نَعْمَةٍ

فَعَدِّي لَهَا بِاليَوْمِ عَدَاً وَبِالشَّهْرِ
بِنَشْرِ تَسَامِي أَوْ رَوَائِعِ بِالشَّعْرِ
بِمُرَاكَشِ الحُمُرَا وَأَنْتِ بَدَا تَدْرِي
بِإِنصَافِ عَدْلٍ نَالَ مِنْ شَيْمِ القَدْرِ
لِهَذَا الَّذِي يَدْعُو إِلَى البُحْلِ وَالهَجْرِ
وَلَكِنَّ هَازِي مَا أَرَاهَا مِنْ أَلْيَسْرِ
لِعُودَةِ حَقِّ بِاشْتِرَاطِ عَلَى القُورِ
مِنَ الدُّودِ قَالُوا إِنَّهُ تَرْوَةُ البُحْرِ
بِرَيْتِ يَزِينُ الصَّخْنَ ضَوْءًا كَمَا أَلْبَدْرِ
جَمِيعًا ذُوو حَقِّ تُرَجِّيهِ بِالصَّبْرِ
تَكُونُ شِوَاءً بِالحِرَافِ شِفَا الصَّدْرِ
وَبَسْطِيلَةَ كَالشَّهْدِ تَأْخُذُ بِالأَسْرِ
تُرَيْتُهُ حُسْنًا كَمَا الأَنْجُمِ الزَّهْرِ
خَتَامٌ بِهِ تَرْدَاتُ مَائِدَةُ الحَيْرِ
وَمَعَهُ كِعَابٌ لِلغَرَالِ وَمَا الزَّهْرِ
يُصَاحِبُهَا عُوْدٌ بِهِ مُنْعَةُ النَّقْرِ

وَمَعَ حَزَقِ عُودِ الطَّيِّبِ يَكْمُلُ مَجْلِسُ
فَهَذَا هُوَ الْحُكْمُ الَّذِي أَنَا نَاطِقُهُ
وَمَا كَانَ قَصْدِي أَنِّي أُثِيرَ زَوَابِعاً
عَسَى صَفْوَةُ الْأَحْبَابِ أَنْ يَتَنَسَّمُوا
عَشَاءٌ بِهِ إِنْ شِئْتَ طَوَّالاً إِلَى الْفَجْرِ
وَهَذَا الَّذِي أُدْرِي وَلَا غَيْرُهُ أُدْرِي
وَلَكِنَّهُ رُوحُ الْمُرَاحِ إِذَا يَسْرِي
صَبَاهُ مَعَ التَّقْدِيرِ حُبّاً وَبِالشُّكْرِ

شُرُوطُ الرِّضَى

وكتب الدكتور عبد العزيز التويجري⁽¹⁾ مخاطبا الأستاذ عباس الجارري:
مع التحية إلى معالي الأخ العلامة الدكتور عباس الجارري حفظه الله.

إِلَيْكَ أَرْفُ الشُّكْرَ يَا عَالِي الْقَدْرِ فَحُكْمَكَ مَقْبُولٌ عَلَى الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ
وَلَكِنِّي لَمَّا عَلِمْتُ بِمَا جَرَى لِأَمِّدَ خَفَّفْتُ الشُّرُوطَ لِيذِي عُذْرٍ
وَفِي الدِّينِ تَخْفِيفٌ لِمَنْ كَانَ عَاجِزاً عَنِ الْمَشْيِ وَالْإِبْصَارِ أَوْ عِلَّةٍ تَسْرِي
وَإِنْ فَاتَنِي عَزْسٌ لِبُنْتِ صَدِيقِنَا فَحَقِّي مَحْفُوظٌ بِحَيٍّ مَعَ الشُّكْرِ
فَزَبَّاحُ مَسْئُولٍ وَغَيْرُ مُؤَجَّلٍ لِيُولَمَ حَتَّى يَبْرَأَ الْغَارِمَ الْمُثْرِي
تُرِيدُ طَعَاماً كَامِلاً الْوَضْفِ مُشْبِعاً فَلَا طَنْجِيَةَ تُغْنِي وَلَا دُودَةً تُمْرِي
وَلَا فُؤُلٌ يَكْفِينَا وَلَا مَرَّةٌ إِذَا خَلَا مِنْ حُرُوفٍ أَقْرَنَ مَجْلِسُ الشَّعْرِ
وَمِنْ حُوتٍ بَاجُؤٍ كَبِيرٍ مُحَمَّرٍ وَبَعْضِ دَجَاجٍ مِثْلِهِ بَاهِضِ السَّعْرِ
وَعَشْرِ حَمَامَاتٍ سِمَانٍ وَفَوْقَهَا خَضَارٌ وَحَوْلَ الْكَلِّ فَكِهَةٌ تُعْرِي
وَسَائِي لَدِيدٍ وَالْحَلَاوَةُ قَبْلَهُ وَجَوْقٌ يُعْتَبَى بِاللَّطِيفِ مِنَ الْعَهْرِ

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة في مدينة الرباط، بتاريخ 11 أكتوبر 2010.

بِذَا تَكْمُلُ الْأَوْصَافُ أَمَّا بَعْيِرِهِ فَعِشُّ وَتَدْلِيْسٌ وَهَذَا مِنْ الْغَدْرِ
وَحَسْبُ الْعَمَارَتِي أَنْ رَأَفْنَا بِحَالِهِ وَزَجُّو لَهُ بُرْءاً لِيُوفِيَ بِالنَّدْرِ
أَدَامَ عَلَيْنَا اللَّهُ فَضْلاً وَصِحَّةً وَأَسْعَدَنَا بِالْبَاقِيَاتِ مِنَ الْعُمْرِ

مع الشاعر اليمني الدكتور عبد الولي الشميري⁽¹⁾

(1) الدكتور عبد الولي الشميري، شاعر وكاتب ودبلوماسي يمني، من مواليد 4 غشت 1956. شغل عدة مناصب دبلوماسية، منها سفير اليمن في القاهرة، والمندوب الدائم للجمهورية اليمنية في جامعة الدول العربية بالقاهرة. من دواوينه: «أوتار»، ط، 1991، «أوحشتنا»، ط، 2002. ومن دراساته: الحب في الأدب العربي: دراسات نقدية لنصوص الحب في الشعر العربي.

كتب الدكتور عبد الولي الشميري، سفير اليمن بالقاهرة، إلى الدكتور
عباس الجراري مهنتاً بعيد الفطر لعام 1431هـ، قال:

الْعِيدُ أَنْتَ سُورُهُ وَجَمَالُهُ وَالْأَجَلُ وَجِهَتُكَ أَعْشَقُ الْأَعْيَادَا

فجاء جواب الشاعر عباس الجراري⁽¹⁾:

إلى سيادة الأخ الكريم الأستاذ السفير الدكتور عبد الولي الشميري؛ بسعادة
غامرة تلقيت تهنئتك الشعرية الجميلة، ويسرني أن أجيبك عنها، وإن دون ما هي
به جديرة.

كُلُّ الزَّمَانِ بِشَعْرِ حَتِّي مُبْهِجٌ فَأَهْنَأُ بِهِ عِيداً يَدُومُ عُقُودَا
وَالشُّكْرُ عِنْدِي وَاجِبٌ أَذِلِّي بِهِ فَلتَقْبَلْنَهُ وَجَدَّتْ عُهُودَا

(1) كتبه في الرباط بتاريخ 15 شوال 1431هـ الموافق 24 شتنبر 2010م.

كتب الدكتور عبد الولي الشميري سفير دولة اليمن بالقاهرة مهناً الدكتور
عباس الجراري بالعيد:

بِيَوْمِ الْعِيدِ أَهْدِيكَ التَّحِيَّةَ تُقْبَلُ مِنْكَ طَلَعَتِكَ الْبَهِيَّةُ

فجاء جواب الجراري يقول⁽¹⁾:

إلى أخي الكريم الأستاذ الدكتور عبد الولي الشميري سفير اليمن بالقاهرة،
جواباً على تهنئته:

وَأَبْهَى مَا يَكُونُ الْعِيدُ عِنْدِي إِذَا بَادَلْتُ حَيِّي ذِي التَّحِيَّةِ

(1) كتبه في الرباط يوم 5 دجنبر 2010م.

بين شاعرين من العُدوتين السلوي أحمد السوسي التناي⁽¹⁾ والرباطي عباس الجراري

(1) من مواليد مدينة سلا سنة 1932. حاصل على دبلوم اللغة العربية من «معهد الدراسات المغربية العليا»، وعلى شهادة اللغة والحضارة الفرنسييتين من جامعة السربون الصيفية بباريس سنة 1956. انخرط في سلك التعليم من 1950 إلى 1962. التحق بوزارة المالية حيث عمل في مختلف مديرياتها من 1962 إلى أن أُحيل على التقاعد سنة 1992. أصدر الشاعر التناي الدواوين التالية:

- 1 - رذاذ الخريف، 2004.
- 2 - أزهار الربيع، 2012.
- 3 - ظلال المصيف، 2016.
- 4 - كدمات الروح (ديوان المرثي)، 2017.

كانت أول زيارة للشاعر السلوي أحمد السوسي الثاني للنادي الجراي، يوم الجمعة 1 يوليو 2011. وبهذه المناسبة كتب هذه المقطوعة الشعرية، قال⁽¹⁾:

أَتَيْتُ بِشَوْقٍ أَقْتَفِي مِسْكَ عِطْرِكُمْ لِأَرْشَفَ قَطْرًا مِنْ جَدَاوِلِ نَهْرِكُمْ
وَعِطْرِكُمْ آدَابُ صَاعٍ غَيْرِهَا يُطَاوِلُ فِي آلَاقِبِ شَاخِ ذِكْرِكُمْ
وَكُنْتُ أُمَّتِي النَّفْسَ غَشِي صِفَاكُمْ وَلَكِنْ شِرَاعِي دُونَ زَاخِرِ بَحْرِكُمْ
وَزَادِي قَلِيلٌ وَالْمَسَارُ إِلَيْكُمْ يَشُقُّ عَلَى مَنْ لَا يَلَامِسُ قَدْرِكُمْ
إِلَى أَنْ قَضَى الرَّحْمَانُ يَوْمَ لِقَائِنَا عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ فَهَاجَرَ هَجْرِكُمْ
وَهَا أَنَا فِي أَدْوَاكِكُمْ مُتَفَيِّئًا ظِلَالِكُمْ أَلْفِيحًا أَخْطُ بِجَبْرِكُمْ
وَجِئْتُ بِأَرْطَالِي لِسُوقِ عُكَاطِكُمْ وَأَنْيَ لِأَرْطَالِي قَلَامَةٌ ظَفْرِكُمْ!
فَإِنْ تَقْبَلُوا - فَضْلًا - بِجَاحِ تَجِيَّتِي سَحَبْتُ عَلَى شِعْرِي مَدَاخِ شُكْرِكُمْ
وَإِلَّا وَأَدْتُ الشَّعْرَ وَالنَّثْرَ قَبْلَهُ وَفِي سُبْحَتِي وَزِدٌ يُرَدِّدُ عُنْدَكُمُ
وَمَهْمَا يَكُنْ إِلَيَّ بِكُمْ لَمَنْوَةٌ وَدَأْبِي أُتْنِي عَنْ رَحَابَةِ صَدْرِكُمْ

(1) كتبها بمدينة سلا، صبيحة الخميس 27 رجب 1432 هـ الموافق 30 يونيو 2011م، وأنشدها في جلسة النادي الجراي عشية الجمعة فاتح يوليو 2011.

فجاء جواب رئيس النادي مُرحباً⁽¹⁾:

قَفُّوا أَيْمًا الْإِخْوَانُ حَيُّوا التَّنَانِيَا أَخَ الْوُدِّ مَنْ بِالشَّعْرِ كَانَ مُبَارِيَا
سَلِيلَ بَنِي الْأَمْجَادِ فِي السُّوسِ مَحْتِدَا وَإِنَّ قَدْ عَدَا عِنْدَ الْمَقَامِ سَلَاوِيَا
فَمَرَّحَى بِهِ نَادِي الرِّبَاطِ يَجْرُهُ لِيُضْبِحَ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ جَرَارِيَا
فَقُولُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا وَزُقُّوا أَمَانِيكُمْ لَهُ وَالتَّهَانِيَا

(1) كتب الشاعر هذه الأبيات في الرباط، يوم الجمعة 28 رجب 1432هـ الموافق لـ 1 يوليوز 2011م.

مع الشاعر الدكتور
عبد الولي الشميري

خاطب السفير الدكتور عبد الولي الشميري الأستاذ عباس الجراري مهناً
بشهر رمضان، قال:

مَهَارِكَ أَوْقَاتُهُ زَاهِرَةٌ وَلَيْلُكَ سَاعَاتُهُ غَامِرَةٌ
بِشَهْرِ الصِّيَامِ وَأَيَّامِهِ أَهْيَيْكَ بِالْخَيْرِ وَالْمَغْفِرَةِ

فجاء جواب الدكتور عباس الجراري كالآتي⁽¹⁾:

أخي الكريم سعادة السفير الدكتور عبد الولي الشميري:

تَقَبَّلْ عِبَارَاتِي الشَّاكِرَةَ بِأَدْعِيَةِ نَزِيحِي غَافِرَةَ
وَإِنِّي لَأَغْبُطُ صَوْمَكَ فِي رِحَابِ الْمُعَزَّيَّةِ الْقَاهِرَةَ
تُرَى هَلْ عَلَى مَا أَلْفَنَّا بِهَا تُقَامُ اللَّيَالِي بِهَا سَاهِرَةَ ؟
أَمْ أَنْتَ الدَّوَاهِي بِسَاحَاتِهَا تُعَكِّرُ أَجْوَاءَهَا الْبَاهِرَةَ ؟

(1) نظمت هذه الأبيات بالرباط، يوم 15 رمضان 1432هـ الموافق 16 غشت 2011.

بمناسبة عيد الفطر لعام 1432هـ، كتب السيد السفير الدكتور عبد الولي الشميري تهنئة بعث بها إلى الشاعر عباس الجراري يقول فيها:

الْعِيدُ أَشْرَقَ بِالسُّرُورِ وَأَنْتَ عَيْدُهُ بِأَرْبِحِهِ الْفَوَاحِ يَغْمُرُنِي نَشِيدُهُ
وَإِلَيْكَ أَشْدَاءُ تَفُوحُ بِهَا حُدُودُهُ وَإِلَيْكَ أَهْدِي تَهْنِئَاتِي يَا وُرُودُهُ

فجاء جواب الجراري يقول⁽¹⁾:

بَلْ أَنْتَ أَنْتَ الْعِيدُ تَقْدُمُهُ بُنُودُهُ خَفَافَةً بِالْحَبِّ تَفْعَمُهَا سُعُودُهُ
فَوَاحَةٌ بِالتَّهْنِئَاتِ لَكُمْ وُرُودُهُ فَلْتَقْبَلْنَهَا وَالْقَبُولُ لَهُ شُهُودُهُ
وَلْتَرْضَ عَنْهَا وَالرِّضَاءُ لَهُ عُهُودُهُ ذَاكَ الْوَفَاءُ لِمَنْ تَصِحُّ لَهُ وُعُودُهُ
حَيِّتَ يَا خَلَّ الْوَفَا تُحَلِّي بِرُودُهُ فَلَأَنْتَ مَنْ حَفِظَ الْوِدَادَ وَمَنْ وُدُودُهُ

(1) كتبه في الرباط، يوم الأحد 5 شوال 1432هـ الموافق 4 سبتمبر 2011م.

مع أمير الشعراء
علي الصقلي

قدم عباس الجراري مجموعة من الكتب إلى الشاعر الكبير علي الصقلي،
فكتب الأخير هذه القصيدة جواباً على هذه المبادرة، مقدّماً لها بهذه العبارات:

قيلت شكراً للأخ العزيز د.عباس الجراري على تفضله بإهدائي مجموعة من
كتبه وكتب بعض حواريه، وهو ما طوّقتي، من جديد بفضل من أفضاله في
ميدان الفكر والأدب، فقلت:

أَعْرِفْتَنِي، يَا لَيْتَ كُلِّ غَرِيقٍ مِثْلِي، وَفِي بَحْرِ لِحَيْرِ صَدِيقِ
بَحْرِ أَلَالِي يَضْطَفِي أَعْلَاقَهَا فِكْرَ عَشِيقِ الصَّيْدِ، يَا لَعَشِيقِ!
فَكْرَ غَنِيٍّ، عَبَقْرِيٍّ، نَابِهٍ يَزُوي... وَمَا يَزُوي بَعِيرِ رَحِيقِ
رَبُّ الْفَرَائِدِ، كَاشَفٌ عَن عُمَّتِهَا بَحْثاً، وَأَيِّ مِثْلُهُ كَعَمِيقِ؟
فِي كُلِّ نَادٍ سَيِّدٌ، وَأَنَا بِهِ أَذْرِي، كَرِيمٌ، ذُو أَجَلِ بَرِيقِ
إِن قِيلَ عَنْهُ، مُشَارِكٌ فَبِوَصْفِهِ هَذَا، وَأَيُّمُ اللَّهِ، جِدُّ خَلِيقِ
مَا بَيْنَ مَعْقُولٍ وَمَنْقُولٍ تَشِي آثَارُ كَشَافٍ أَغَرَّ مُطِيقِ

عَبَّاسُ يَا مُوسُوعَةَ تَمْشِي عَلَى قَدَمَيْنِ، وَهِيَ تَشُقُّ كُلَّ طَرِيقِ
وَخَزَانَةَ حَمَالَةَ مَا سَالَ مِنْ قَلَمٍ أُنِيقِ إِذْ يَسِيلُ رَقِيقِ
لَوْ طَقْتُ عَدَّ كُنُوزَهَا، وَإِخَالَنِي فِي مُنْتَأَى عَن ذَاكَ جِدِّ سَحِيقِ

وَكَاثِمَاهِي جُمْلَةٌ مِنْ إِخْوَةٍ كُلُّ شَقِيقٍ دَاعِمٌ لِشَقِيقِ
أَوْلَسْتَ رَأْسَ مَنْ الْأُلَى سَخَرُوا اللَّهُمَّ بِالْخُلُقِ وَالْإِبْدَاعِ، لَا يَنْقِيقُ
أَكْرَمٌ بِفِكْرٍ مِثْلِ فِكْرِكَ مَا أَتَى يَبْنِي، وَمَنْ شَرَّ الْقِيُودِ عَتِيقِ
عَبَّاسُ أَسْعَدُ بِي كَأَنْشَطِ جَائِلٍ فِي أَفْقِ أَنْعَمِكَ الْغِزَارِ طَلِيقِ
لَكَ كُلُّ شُكْرِي لَوْ نَدَاكَ بِحُجْمِهِ مَا كَانَ عَن شُكْرِي نَدَاكَ مُعِيقِي

الرباط صباح يوم الخميس 26 محرم الحرام 1433هـ الموافق 2011/12/22
أخوكم علي الصقلي

فجاء جواب الشاعر عباس الجراري يقول: إلى شاعر المغرب الكبير الأستاذ
الصديق، مولاي علي الصقلي، جوابا متواضعا على قافيته الرائعة:

أمير الشعر⁽¹⁾

بَلْ أَنْتَ مَنْ أَعْرَفْتَنِي بِثُمَالَةٍ فِي بَحْرِ شَعْرِ رَائِقٍ وَأُنَيْقٍ
بِالْحُبِّ يَسْمُو مَوْجُهُ مُتْرَاقِصًا زَهْوًا بِمَا أَهْدَيْتَنِيهِ رَشِيقٍ
أَهْدَيْتَنِي مَا فَاقَ كُلَّ هَدِيَّةٍ بِالتَّبْرِ أَوْ بِالدَّرِّ أَوْ بِعَقِيقٍ
ذَكَرْتَنِي يَوْمَ الظَّمَا بِجِرَارِهِ فِي مُنْتَدَى الْحُمْرَا بِلَحْنِ عَشِيقٍ
مَا زِلْتُ نَشْوَاتَ الَّذِي نَشَيْتَ بِهِ كُلُّ الْجُمُوعِ الْحَاضِرَاتِ رَحِيقٍ
قَدْ لَأَ أُوقِي ذِي الْجُمَائِلِ جُمَّلَةً وَالْقَوْلِ عِنْدِي لَا أَرَى بِطَلِيقٍ
أَنْفِي لِمِثْلِي أَنْ يُسَاجِلَ قِمَّةً فِي الشَّعْرِ تَعْلُو ذُرُوكَ كُلِّ شَهِيقٍ
قَدْ حُزْتُ فِي سَبْقِ الْقَوَافِي مَشْعَلًا فَعَدَوْتُ فِي الْإِبْدَاعِ فَوْخَ عَبِيقٍ

(1) كتب الشاعر هذه المقطوعة في مدينة الرباط، بتاريخ 4 صفر الخير 1433 هـ الموافق 29 دجنبر 2011 م.

وَالْفَارِسَ الْمَغُورَ دُونَ مُنَازِعِ فِي سُوحِ هَذَا السَّفْرِ جَدِّ خَلِيقِ
فَأَهْنَأُ بِمَا قَدْ نَلْتُهُ وَأَخْزِبُهُ وَأَسْعَدُ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ بِحَقِّيقِ (1)

(1) في هذه القصيدة، توج الدكتور عباس الجراري عميد الأدب المغربي، الصقلي أميراً للشعراء. وبعد هذا التاريخ بادر النادي الجراري إلى تنظيم ندوة علمية بتعاون مع جمعية رباط الفتح، بتاريخ 10 أبريل 2014، أكد العميد خلالها هذه الإمارة في قصيدته الرائية «أمير الشعراء» انظرها في الصفحة 169 من هذا الديوان، وانظر تغطية لهذا الحدث، في الملحق الثقافي لجريدة «العلم» بتاريخ 29 ماي 2014.

وعقب علي الصقلي على القافية الجارية بهذه الرائية التي سمها
بـ«أسر الخواطر»؛ قال:

أسر الخواطر

لله ذُرْكٌ مِنْ أَدِيبِ شَاعِرٍ لِمَ لَا أَقُولُ: وَمَنْ أَدِيبٌ نَاتِرٍ؟
أَوْلَسْتَ مَجْمَعِ رَافِدِينَ؟ وَإِنَّمَا لَكَ أَنْتَ قَدْ دَانَا بِوَحْيِ سَاحِرٍ
هَذَا يَسِيلُ جَوَاهِرًا وَلَا لِنَاءً يُتَمَّا، وَذَلِكَ بِخَيْرِ دُرِّ نَادِرٍ!
لَكِنْ بِلَا عَدْلِ يُنْصَدُ ذَا وَذَا قَامَ بِكَفْلِكَ، يَا لَهُ مِنْ جَائِرٍ!
فِي حَقِّ أَغْنَى الرَّافِدِينَ وَمَا بِهِ تَغْزُو الْقُلُوبَ فَلِمَ يَضُنُّ كِمَادِرٍ؟
لِمَ لَمْ يَدْعُكَ بِنَا تُحَلِّقُ فِي الْجَوَا شِعْرًا، وَلَا أَسْمَى، كَأَمْهَرِ طَائِرٍ؟
يَا لَيْتَ مَنْ بِالشَّعْرِ صَالَ مَشَى عَلَى آثَارِ مَا تُنْشِي كَفَدَّ قَادِرٍ
شَتَاتَ مَا يُبْنَى الْعَدِيرِ تَكْرُمًا وَالْبَحْرِ جُودًا بِالنَّفِيسِ الْبَاهِرِ
أَيُّهُزُّ عِطْفَاءَ عَادِمٍ مَا يَفْتَضِي شِعْرٌ مَتِينٌ، السَّبَبُ غَيْرُ الْحَائِرِ
مَبْنَى بِلَا خَلِيلٍ، وَمَعْنَى دُونَمَا خَطَلٍ، وَلَا شَوْلُكَ بَعَيْنِ النَّاطِرِ؟
مَا الشَّعْرُ إِلَّا خَيْرُ رَوْضٍ نَافِحٍ طَيِّبًا بِأَعْلَاقِ الْفَرَائِدِ زَاهِرِ

إِبَّ الظَّمَاءِ إِلَيْكَ أَفْضَلَ عَالِمٍ لَهُمُ الظَّمَاءُ إِلَيْكَ أَمْثَلَ شَاعِرِ
«فَأَهْنَأُ بِمَا قَدْ نَلْتَهُ»، فَاجْزِ بِهِ وَأَرَاكَ لَا تَرْضَى بِطَبْعِ مُفَاخِرِ

عَبَّاسُ دَعَاكَ مِنَ التَّوَاضُعِ جَلِيَّةً وَلَوْ أَنَّهُ خَيْرُ الْحَلِيِّ لِأَكَابِرِ
إِلَّا لَمَسَ أَسْرَ الْخَوَاطِرِ شِعْرُهُ وَكَفَى بِشِعْرِكَ أَسْرًا لِلنَّخَاطِرِ

الرباط في 5 صفر الخير 1433 هـ / الموافق لـ 30 دجنبر 2011م
أخوكم: علي الصقلي

أهدى الدكتور عباس الجراري مجموعة من الكتب إلى الشاعر علي الصقلي،
وشفع الهدية بهذه الأبيات، ممهداً لها بذكر المناسبة، قال:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

إلى الصديق العزيز، الشاعر المبدع الكبير، الأستاذ الشريف مولاي علي
الصقلي، حفظه الله ورعاه، عقب زيارة كريمة لي في البيت، عشية الثلاثاء 9
شوال 1433هـ الموافق 28 غشت 2012م، واستفساره عما قد يكون صدر لي من
جديد:

وَسَأَلْتَنِي عَمَّا لَدَيْي مِنْ أَلْجَدِيدِ فِي النَّشْرِ أَوْ تَحْرِيرِ بَحْثٍ مُسْتَزِيدٍ⁽¹⁾
إِنِّي لَأَسْفُ أَنْ أُجِيبَكَ مُؤَلِّمًا إِذْ حَالَ وَعُكِّ دُونَ مَا أَنَا قَدْ أُرِيدُ
عَفْوًا - أُجِي - مَالِي سِوَى كُتُبٍ لِأَحَدٍ بَابِ الْبِرَاعَةِ قَدْ تَرَوَّقْتُ أَوْ تُفِيدُ
فَلْتَقْبَلْ إِهْدَاءَهَا مِنِّي عَلَى أَمَلِ اللَّقَاءِ بِهِمْ قَرِيبَ لَا بَعِيدُ

(1) نظمت هذه الأبيات في الرباط، صباح الخميس 11 شوال 1433هـ = 30 غشت 2012م.

فجاء جواب علي الصقلي، في نفس اليوم، أبياتاً شعرية، مهد لها صاحبها بكلمة قصيرة، قال:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

صديقي العزيز، عميد الأدب بهذه الديار، الأستاذ الجليل عباس الجراري حياك الله، وأكرم بك وبأدبك هذه البلاد، مغنيا ساحتها الثقافية، على فقرها، بما عز من روائعك لم أكد أتم سباحتي في بحر إبداعاتك اللجي حتى أسعدتني بمجموعة إبداعات، إن لم تكن صاحبها، هذه المرة، فهي ممن يسقون من وردك الوريدي، وينعمون منك بأطيب حصيد.

مَنْ ذَا كَيْثَلِي لِلْكَرَى قَدْ كَانَ فَيُنْدُ لَكِنْ صَحَا، أَخْطَى، عَلَى كَثْرٍ فَرِيدٍ⁽¹⁾
شَتَّى صُنُوفٍ مِنْ بَنَاتِ الْفِكْرِ، مِنْ كُتُبٍ مُرَوِّقَةٍ، وَبِالْعَدَدِ الْعَدِيدِ
مِنْ بَيْتِ عَبَّاسِ الْغَنِيِّ يِرَاعَةً وَبِرَاعَةً، مِنْ ذَلِكَ الْحَرَمِ الْمَجِيدِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ حَرْفِهِ فَيَحْرَفُ مَنْ مِنْ وَرْدِهِ يُسْقُونَ، طَابَ لَهُمْ وَرِيدِ

(1) كتب الشاعر الصقلي هذه الأبيات في الرباط، عشية يوم الخميس 11 شوال 1433 هـ الموافق 30 غشت 2012م.

مع الشاعر
أحمد السوسي الثاني

قال عباس الجراري: « غاب السيد التناني في رحلة إلى مراكش، وبعد عودته مرَّ ببיתי وترك باقة من «اللويزة» و«الخلطة» المعروفة من النباتات التي تغلى وحدها أو تكون مع الشاي » وضم إليهما الشاعر السلوي منظومة بعنوان «هدية الشُّرور» يقول فيها⁽¹⁾:

(يَقُولُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ عَاشِرٍ)	فِي ذِكْرِهِ لِعَوْدَةِ الْمَسَافِرِ:
أَدْخُلْ حُجِّي وَأَصْحَبْ هَدِيَّةَ الشُّرُورِ	إِلَى الْأَقَارِبِ وَمَنْ بِكَ يَدُورُ
فَهَاكُمَا عَطْرَةَ فَوَاحَةَ	مِنْ « جَامِعِ الْفَنَاءِ » نِعْمَ الْوَاحَهُ!
« عَمْر » بِهَا الْكُؤُوسَ فِي الْغَدَاءِ	وَإِثْرَ مَا تَطْعَمُ فِي الْعِشَاءِ
فَإِنَّهَا تُنَشِّطُ الْأَعْضَاءَ	وَبَعْضَهَا تُكْسِبُهُ آتِشَاءَ
مُفِيدَةً لِلْحَلْقِ وَاللِّسَانِ	لِمُنْشِدٍ أَوْ مُبْدِعِ الْمَعَانِي
وَأَنْتَ فَرَقَدُ سَمَا عَلَى النُّجُومِ	وَفِي خِصَمِّ عِلْمِكَ الْكُلُّ يَعُومُ
وَأَنْتَ مِنْ أَجَبَّتِي الْقَلَائِلُ	وَبَرَزُوا فِي الْعِلْمِ وَالشَّمَائِلُ
إِنْ غَبْتُ عَنْ مَجْلِسِكَ الشَّهِيرِ	وَلَمْ أَرِدْ مِنْ مَائِهِ النَّمِيرِ
فَأَنْتَ فِي فِكْرِي وَفِي فُؤَادِي	تَحْيَلًا أَشْمُ عِطْرِ النَّادِي
مَعْدِرَتِي أَنْ كُنْتُ فِي مَرَاكُشِ	أَنْشَقُ مِنْ رُطُوبَةٍ وَهَامِشِ

(1) كتبها بالرباط في ضحى الأحد 28 شوال 1433هـ/ 16 شتنبر 2012م.

وَبَعْدَهُ أَيْضاً إِذِي مُسَافِرٍ مُعَادِرًا عُشِّي كَأَنِّي طَائِرٌ
 فِي جَوْلَةٍ بَيْنَ الْمَرَاغِبِ الَّتِي تَرُسُو بِهَا سَفِينَةً فِي رِحْلَةٍ
 تَدُومُ عَشْرًا ثُمَّ بَعْدَهَا أَعُوذُ إِلَى سَلَا حَيْثُ مَعَاهِدُ الْجُدُودِ
 حِينَئِذٍ أَسْعَدُ بِاللِّقَاءِ بِكَ وَمَنْ حَوْلَكَ فِي صَفَاءِ
 قَدَمٍ لَنَا شَلَالٍ عِلْمٍ هَادِرٍ تَرْتُهُوبُكَ الْكَرَاسِي وَالْمَنَابِرُ
 (يَا رَبَّنَا صَلِّ عَلَيِ الْمُخْتَارِ صَلَاتِكَ الْكَامِلَةَ الْمُقَدَّارِ)
 يَصْحَبُهَا السَّلَامُ وَالْإِجْلَالُ دَوَامَ مَا شَدَا بِهِ بِلَالُ

فأجابه الشاعر الجرامي بالقطعة التالية⁽¹⁾:

شُكْرًا عَلَى هَدِيَّةِ «اللَّويزَةِ» وَ«خَلْطَةِ» أَصْفَمَهَا عَزِيرَةٌ
مُنْعَشَةً لِلرُّوحِ وَالْأَبْدَانِ تُضَاعِفُ الْمُنْعَةَ لِلنَّشْوَانِ
لَأَسِيْمًا وَأَتَمًّا مِنْ «الْحَمْرَا» بِجَامِعِ الْفَنَاءِ فَوْحَهَا سَرَى
يَسْرِي مَعَ الْأَنْفَاسِ وَالْأَجْسَامِ مُنْشِطًا لِلذَّهْنِ وَالْأَفْهَامِ
قَدْ جُرِّبَ الْأَمْرُ بِلَا مِرَاءٍ فِي حَالَةِ الضَّرِّ وَفِي السَّرَّاءِ
فَأَقْبَلَ - أَخِي - عِبَارَتِي فِي الشُّكْرِ مَعَ الدُّعَاءِ دَائِمًا فِي الذِّكْرِ
حَتَّى تَكُونَ مُنْعَمًا بِعَافِيَةٍ مِمَّا عَانَيْتَ لِلْعُيُوبِ شَافِيَةٍ
أَمَّا اجْتِمَاعُ النَّادِي بِالْإِخْوَانِ فَهُوَ الْمَشْوَقُ لِلْقَا التَّنَافِي
لِلشَّعْرِ تُنْشِدُهُ لِلْأَشْمَاعِ يُطْرِبُهَا حَتَّى عَلَى الْإِمْتَاعِ
نَزُجُوا جَمِيعًا عَوْدَةً حَمِيدَةً إِلَى الدِّيَارِ بِسَلَا الْمَجِيدَةِ

(1) كتبها يوم الجمعة 5 ذي القعدة 1433هـ الموافق 21 شتنبر 2012م.

مع الشاعر الليبي الدكتور عبد الحميد الهرامة⁽¹⁾

(1) عبد الحميد الهرامة باحث أكاديمي، عميد كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، ليبيا، أديب وشاعر، صدر له مجموع شعري بعنوان «أصداء في زوايا النَّفس». كما أصدر بعض الدراسات منها: «ديوان إبراهيم بن الحاج النميري»، «القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن: الظاهر، والقضايا، والأبنية»، «فصول من تاريخ ليبيا الثقافي».

اشتغل الدكتور عبد الحميد الهرامة سنوات عديدة خبيراً في المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الاييسيسكو)، وكان أحد أعضاء النادي الجرجاري طيلة إقامته في الرباط، بالمملكة المغربية. وفي نهاية سنة 2012، عاد الشاعر الهرامة إلى بلده ليبيا، ليتولى مسؤولية أخرى. ولما حان الفراق خاطب رئيس النادي بقوله: إلى العلامة المفضل، الأستاذ الدكتور عباس الجرجاري ومجلسه العامر أقول:

سَلَامِي وَقَدْ حَانَ وَقْتُ الرَّجِيلِ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ شَيْخٌ جَلِيلٌ
رِسَالَتُهُ أَنْ يَصُوتَ أَحْمَى بِعِلْمٍ وَفَضْلِ وَخَيْرِ أَثِيلِ
عُرُوبَتُهُ ذَاتُ دِينٍ قَوِيمٍ وَنُحُوتُهُ ذَاتُ أَصْلِ أَصِيلِ

وقد نظم النادي الجراري في مقره، جلسة خاصة لتوديع الشاعر الليبي عبد الحميد الهرامة، عشية يوم الجمعة 14 صفر 1434هـ الموافق 28 دجنبر 2012، أنشد خلالها الشاعر عباس الجراري رئيس النادي القصيدة التالية التي نظمها بالمناسبة، قال:

عَبْدَ الْحَمِيدِ أَخَ الْمَوَدَّةِ أَسْأَلُ: هَلْ أَنْتَ حَقًّا عَنْ قَرِيبٍ تَرَحَّلُ؟
وَتَعُودُ لِلْوَطَنِ الْعَزِيزِ بِلِيْبِيَا شَوْقًا إِلَى الْأَهْلِيْنَ حَيْثُ الْمَنْزِلُ
وَتُخَلِّفُ الْأَحْبَابَ خِلَالَ الْوَفَا وَرَفَاقَ نَادٍ بِالْمَحَبَّةِ يَحْفَلُ
وَهُمْ الْأَلَى عَاشَرْتَهُمْ بِتَأْلُفٍ وَصَفِيٍّ وَدٍّ وَالْمَعَارِفُ تُهْلُ
وَالذِّكْرِيَّاتُ خِلَالَ عَقْدٍ لَا أَرَى نِسِيَانَهَا أَبَدًا وَلَا هِيَ تُهْمَلُ
بَلْ هِيَ فِي كُلِّ الْمَشَاعِرِ حَيَّةٌ تُدْكِ النَّفُوسَ فَلَيْسَ عَنْهَا نَعْفَلُ
وَالدِّرْعُ دِرْعُ الْمُتَدَيِّ (1) لِتَذَكِّرِ حَتَّى تَظَلَّ عَلَى لِقَانَا نَعْفَلُ
فَأَقْبَلُهُ مَعَ حُبِّ الْجَمِيعِ هَدِيَّةً مَشْفُوعَةً بِجَمِيلِ مَالِكٍ نَحْمَلُ
عُدَّ بِالسَّلَامَةِ لَا تُطِلُّ لَكَ غَيْبَةً وَعِدِ الصِّحَابَ هُنَا بِعُودٍ يُؤْمَلُ
سَنَظُلُّ نَرْقُبُ شَائِقِينَ رُجُوعَكُمْ لِرِبَاطٍ فَتَحِ فَالِرِبَاطُ يُكَبَّلُ

(1) قدم رئيس النادي الأستاذ عباس الجراري « درع النادي الجراري » إلى الشاعر الدكتور عبد الحميد الهرامة هدية وتذكراً.

مع الشاعر
علي الصقلي

خاطب عباس الجراري الشاعر علي الصقلي، قال:

أمير الشعراء⁽¹⁾

الْيَوْمَ مَجْلِسُنَا بِهَيْ نَيْرٍ وَالنَّادِي فِي حَفْلِ يَتِيهِ وَيَفْخَرُ
يَهْتَرُ مِنْ طَرَبٍ وَقَدْ أَشْرَكْتَهُ إِنْ دَاعَ صَادٍ بِالرَّوَائِعِ يُنْتَرُ
فَالْتَثُرُ عِنْدَكَ مَا نِدُّ فِي طَرْسِهِ وَالشَّعْرُ يُرْهُو فِي حِمَاكَ وَيُرْهُرُ
قَدْ صُغْتَ بِاللَّفْظِ الْجَمِيلِ مَقَاتِنًا وَبِدَوْقِكَ الرَّاقِي الْمَعَانِي تُهْصَرُ
الْأَغْنِيَاتُ بِنَظْمِهَا وَبِلَحْنِهَا تَسْرِي بِأَفْوَاهِ تُسِرُّ وَتَجْهَرُ
يَكْفِيكَ أَنَّ لِسَانَ شَعْبٍ كَامِلٍ يُعْلِي النَّشِيدَ لُوْطْنِهِ وَيُكَيِّرُ
شِعْرَ الطُّفُولَةِ كُنْتَ سَبَاقًا لَهُ فَاتَّيْتُ فِيهِ بِمَا يَجِدُ يُحَيِّرُ
هَدِي الْأَنَاشِيدُ الَّتِي حَبَّرْتَهَا لِلْجِيلِ أَصْحَتْ فِي الدُّرُوسِ تُقَرُّ
وَالْمَسْرُحُ الشَّعْرِيُّ أَنْتَ مُفْتَحٌ أَبْوَابَهُ لِلرَّاعِيْنَ وَمُضِدُّ
فِي كُلِّ فَنٍّ شِدَّتُهُ لَكَ مَوْجِعٌ وَمَكَانَةٌ لَيْسَتْ تُبَارَى تُشْهَرُ
صَغْبٌ عَلَيَّ بِأَنْ أَعِدَّ كُلَّ مَا قَلَمِي عَلَى تَعْدَادِهِ قَدْ يَفْصُرُ

(1) أُلقيت هذه القصيدة في الجلسة التكريمية التي أقامها النادي الجراري في مقره (زهرة الآس) للشاعر الكبير الأستاذ مولاي علي الصقلي عشية الجمعة 5 رجب 1434هـ الموافق 17 مايو 2013م. [الشاعر].

أَحْيَيْتَ لِلإِبْدَاعِ رَوْقَهُ الَّذِي
لَيْتَ الْفَرْزَدَقَ وَالْمَعْرِي هَاهُنَا
لَيْتَ الرُّصَافِي وَالنِّزَارَ وَحَافِظاً
بِإِمَارَةٍ مِنْ صَاحِبِهِ سَيْقَتْ لَهُ
فِي مِصْرِهِ كَانَ التِّدَاءُ لَهُ بِهَا
إِنِّي أَرَى أَحْلُوِي وَمَنْ فِي غَرْبِنَا
كَمْ كَانَ وَدِّي أَنْ يَكُونُوا بَيْنَنَا
فِي بَهْجَةٍ فَرِحاً بِمَا قَدْ نَلْتُهُ
إِذْ أَنْتَ فِي شُعْرَاءِ عَصْرِكَ قَائِدٌ
لَوْ يَخْضُرُونَ الْيَوْمَ سَاقُوا بِنِعَةٍ
لَأَتَوْا جَمِيعاً رَافِعِينَ لَوَاءَهَا
هِيَ بِنِعَةٍ قَدْ كُنْتُ قَبْلُ كَتَبْتُهَا
وَالْيَوْمَ فَالْتَّادِي الْجِرَارِي بِحَفْلِهِ
أَنْ الصِّقْلِي شَاعِرٌ فَرَدُّ لَهُ
فِي الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَيَعْرَبُ كُلَّهُمْ
فَاهُنَا - أَحْي - بِالتَّاجِ رُصِّعَ لَوْلَا

قَدْ كَادَ يُنْسَى أَوْ بِقَصْدٍ يُقْبَرُ
وَالْبُخْتَرِيُّ مَعَ ابْنِ هَانِي يَخْضُرُ
بَلْ لَيْتَ شَوْقِي بَيْنَهُمْ يَبْخُتَرُ
رَغْمَ الَّذِينَ بِنَفْسِهِمْ قَدْ جَاهَرُوا
وَالشَّعْرُ فِي بَاقِي الْمَوَاطِنِ يُنْكَرُ
كَانُوا نُجُوماً لِلْقَوَافِي تَبْهَرُ
لِيُشَاهِدُوا حَفْلَ الْوَفَاءِ وَيُخْبَرُوا
يَشْدُونَ جَهراً بِالْمَدِيحِ يُعْطَرُ
وَزَعِيمُهُمْ وَعَمِيدُهُمْ وَأَكْرَرُ
لَكَ يَا أَحْيِي بِإِمَارَةٍ قَدْ تَدُكُرُ
يَدْعُونَ أَنَّكَ يَا عَلِيُّ الْأَجْدَرُ
وَدَعْوَتُ فِي دَرْسِي لَهَا وَأَبْرُرُ
وَالسَّعْدُ يَعْمُرُهُ يُنَادِي يُظْهَرُ
قَدْحٌ مُعَلَّى بِالْبَدَائِعِ يَسْحَرُ
فِي سَائِرِ الْأَوْطَانِ رَسْمُكَ يُنْشَرُ
وَلَأَنْتَ بِالِاجْتِمَاعِ أَنْتَ الْأَشْعَرُ

وَلتَقْبَلُنِي مِنِّي تَهَانِي مَحْلِصِي
يَزْعَمُ الْعُهُودَ لِجَبِّهِ وَيُقَدِّرُ
مَعَهَا الدُّعَاءُ بِمَا تَوَدُّ وَصِحَّةِ
وَالشَّعْرَ بِأَلَّتِ الْبَدِيعَ تُعَبِّرُ
أُهْدِيكُمَا مَعِ دِرْعِ نَادٍ قَدْ أَبَى
إِلَّا الْخُضُورَ بِرَمْزِهِ وَيُشَاطِرُ

كتب الشاعر عباس الجراري مخاطباً الشاعر علي الصقلي:
الرباط في 2 ربيع الثاني 1435هـ الموافق 2 فبراير 2014م

الحمد لله

إلى الأود الشاعر الناقد، الأستاذ الشريف مولاي علي الصقلي، حفظه الله

تحية طيبة مباركة،

وبعد، فقد وافت أبياتك البديعة، شكراً على هدية « هويتنا والجهوية»⁽¹⁾
التي كنت بعثتها إلى أخوتك، رداً على نقدي الدقيق لتحقيق ديوان ابن الخطيب،
فبعثت في نفسي ما جعلني أقول:

وَأَنْتَ شَاهِدُهَا بِالشَّعْرِ بَاعْتَهَا	وَالنَّشْرَ تُنْقِذُهَا بِالنَّقْدِ وَالْقِيَمِ
مَا زَالَ صَوْتُكَ بِالْحَقِّ الصُّرَاحِ لَهُ	دَوِيٌّ وَقَعَ إِلَى الْأَجْيَالِ مُلْتَزِمِ
نَسَى بِجُهْدِكَ بَلْ كُلِّ الْجُهُودِ وَمَا	زَالَ الَّذِي نَشْتِكِي فِي النَّفْسِ مِنْ سَقَمِ
كَأَنَّ بَوْحَكَ بِالتَّصْحِيحِ تُرْسَلُهُ	إِلَى الْأَلْيِ بِلِسَانِ الْعُزْبِ فِي صَمِّ
وَالنَّحْوِ مَعَ وَزْنِ أَشْعَارٍ بِهَا جَهَلُوا	عِلْمَ الْعَرُوضِ وَمَا فِي الْفِكْرِ مِنْ عِظَمِ
فَاللَّهُ يُبْقِيكَ لِلنَّعْرِ الحَصِينِ قَدْأَا	« هُوَيْتَنَا » بِمَا أَعْلَيْتَ مِنْ عِلْمِ

وعلى المحبة والسلام

(1) الهوية الوطنية والجهوية، عباس الجراري، منشورات النادي الجراري، رقم 59، ط، 1، دجنبر 2013، وهو عرض نشر باللغات الثلاث (العربية، الفرنسية، الانجليزية) في مجلة «الإسلام اليوم» التي تصدرها منظمة (الإيسيسكو)، في العدد 29 سنة 2013، وأعيد نشره ضمن منشورات النادي الجراري.

مع الدكتور عبد الحق عزوزي⁽¹⁾

(1) الدكتور عبد الحق عزوزي، أكاديمي مغربي، رئيس المركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية، حاصل على دبلوم العلوم السياسية والعلاقات الدولية من معهد العلوم السياسية بـ « تولوز»، فرنسا، والدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من نفس الجامعة، وهو خريج كلية الحقوق وكلية الشريعة بفاس. عضو مستشار في منظمات وهيئات دولية عدة، أنشأ عدداً من المؤسسات والمراكز البحثية والتنموية. من مؤلفاته: «لماذا تخلف العرب وتقدم الآخرون؟»، «جذور الاستبداد وبذور النهضة».

بعث الشاعر عباس الجراري هذه القصيدة النونية إلى الدكتور عبد الحق العزوزي «على إثر أيام جميلة قضيتها -يقول الدكتور عباس الجراري - رقيقة زوجتي في صحبته وأسرته الكريمة». ومهد الشاعر للقصيدة بهذه العبارة:
 إلى محل الولد العزيز الأستاذ النابغة الدكتور عبد الحق عزوزي مع خالص
 الأشواق⁽¹⁾:

فَأَسْ لَعْمَرِي عَلَى الْبُلْدَانِ تَرْدَانُ	فِي طَيْبِهَا كُلِّ مَا يَسْبِي وَسُلُواتُ
إِنِّ قَالَ سَاكِئًا فِيهَا مَرَاتِعُهُ	وَفِي ثَرَاهَا لَهُ زَهْرٌ وَرِيحَاتُ
وَفِي السَّوَاكِي الزُّلَالُ الْعَدْبُ مَشْرَبُهُ	يَشْفِي الْعَلِيلَ وَيَرْوِي مِنْهُ ظَمَأَتُ
وَفِي أَرْقَمِهَا عِطْرٌ يُؤَرِّجُهَا	وَفِي مَنَازِلِهَا حُورٌ وَوَلَدَاتُ
وَفِي جَوَامِعِهَا عِلْمٌ وَمَوْعِظَةٌ	وَفِي صَوَامِعِهَا ذِكْرٌ وَإِيمَانُ
وَفِي مَدَافِنِهَا أَعْلَامٌ مَعْرِفَةٌ	وَفِي مَتَاجِرِهَا دُرٌّ وَمَرْجَانُ
فَأَسْ بِهَاذِي وَأُخْرَى خَيْرُ جَوْهَرَةٍ	تُرْصِعُ الْوِطْنَ الْعَالِي لَهَا شَانُ
أَقُولُ: دَعْنِي مِنْ ذَا إِنَّ لِي هَدَفًا	أَهْفُو إِلَيْهِ وَإِلَيْ مِنْهُ نَشْوَانُ
إِنِّي مَشُوقٌ إِلَى أَهْلِي أَزُورُهُمْ	وَلِي فِي حَبِّهِمْ مَعْنَى وَعُنْوَانُ
فَلَسْتُ أَسْلُو بِهَا إِلَّا بِرُفْقَتِهِمْ	فَهُمْ عَلَى هَامِهَا فَنَرٌ وَتِيْجَانُ

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة في مدينة الرباط، صباح الأحد 27 شوال 1435هـ الموافق 24 غشت 2014م.

هُمُ الصَّحْبُ عِنْدِي فِي مَرَابِعِهَا
«فَعَبْدُ الْحَقِّ» فَزِدْ فِي نَوَابِعِهَا
يَكْفِيهِ مَا شَهِدَتْ فَاسٌ بِخِدْمَتِهِ
كَذَا «أَسْمَاءُ»⁽¹⁾ مَنْ عَزَّ النَّظِيرُ لَهَا
وَرَبَّةُ الْبَيْتِ فِيهِ بِأَيْتِسَامِهَا
وَ«جَنَّةُ»⁽²⁾ لَا تَسْلُ كَمْ هِيَ مُسْعِدَةٌ
وَكَالْعُرُوسِ عُرُوسِ الْبَحْرِ إِنْ سَبَحَتْ
وَالسَّبُلُ مِنْ أُمِّهِ قَدْ حَازَ ضَحْكَمَهَا
فَاللَّهُ يَشْفِيهِ مِنْ ضُرِّ أَلَمِّ بِهِ
إِلَيْهِمْ تَحِيَّاتِي مَعَ «حَمِيدَتِي»⁽⁴⁾ فِي
لَعْنًا عَنْ قَرِيبٍ فِي الرِّبَاطِ تُرَى
إِنْ عَزَّ مَنْ يُصْطَفَى فِيهَا وَخَلَاتُ
فِكْرٍ حَدِيثٌ وَعِلْمٌ ثُمَّ قُرْآنُ
هِيَ الدَّلِيلُ إِذَا يُحْتَاجُ بُرْهَانُ
فِي الْمَالِيَاتِ لَهَا بَاعٌ وَإِثْقَانُ
يَفْشُو السُّرُورُ وَتُنْفَى عَنْهُ أَحْزَانُ
إِذَا شَدَتْ أَوْ تَلَتْ فَالْجُمُعُ فَرْحَانُ
وَإِنْ شَكَتْ أَوْ بَكَتْ فَالْكُلُّ حَيْرَانُ
وَيَسْتَجِيبُ لِمَنْ نَادَاهُ (عُثْمَانُ)⁽³⁾
يَرَعَاهُ فِي صِحَّةٍ يَغْشَاهُ رِضْوَانُ
حُسْنِ الثَّنَاءِ وَهَلْ يَكْفِينَا شُكْرَانُ
مُرَجِّبِينَ بِهِمْ فَالشُّؤْفُ نِيرَانُ

(1) أسماء حرم الدكتور عبد الحق عزوزي.

(2) ابنة الدكتور عبد الحق عزوزي.

(3) ابن الدكتور عبد الحق عزوزي.

(4) حميدة، حرم الدكتور عباس الجراي.

وبعد توصل الدكتور عبد الحق عزوزي بهذه القصيدة كتب جواباً للشاعر عباس الجراري، جاء في شكل مقالة، عمل على نشرها في جريدة «الجزيرة» السعودية، بتاريخ 1 نونبر 2014، واختار لها العنوان التالي: «عندما يتهاشم العلماء جذورهم في أعماق التاريخ وأغصانهم تعانق السماء». وسأوردها بنصها كما نشرها صاحبها؛ قال:

« سأنقل القارئ في هاته المقالة إلى واحة بعيدة عن ويلات الحروب، وإلى أناس مدادهم مروءة عربية، وبريقهم هي شمس العرب الحقيقية، التي تقهم الدين الإسلامي على حقيقته، وبناء الحضارة على حقيقتها؛ والجمال منهم فتان وهم حماة الضاد وسدنتها ورعاتها وأمراء العقل والساحة والسلام، وبناء الأسرة الإنسانية الواحدة والبيت المجتمعي المشترك، وهم فرسان ميادين قبول الآخر وقمة في التواضع، وحبذا لو أن الملوثة عقولهم اليوم، الذين يفضلون يد العصا والإرهاب على التسامح وقبول الآخر، يقتدون بسيرتهم ويعون أن الإسلام هو دين الحب والساحة والإخاء... وأعني في هاته المقالة سيدي عباس الجراري والأستاذ خليل عيلبوني.

بيني وبين عباس الجراري وصلة الأخوة الصادقة، ووشيجة الوطنية الصافية، والكلمة الراقية، ومحدد الشهامة الأصيلية في قواسم العلم والانتماء الثقافي والتربية الأسرية... عباس الجراري، كما سبق وان كتبت عنه هو نهر من العلم المتدفق، ورمز من رموز العطاء الفكري والأدبي، ومورد عذب لكل متعطش إلى المعرفة والثقافة بمختلف فروعها. وهو عالم يشرف المغرب يحق أن يوضع اسمه ضمن جهايزة العلماء الكبار الذين سجلوا أسماءهم بحروف من نور في سجل التأليف والتنقيب والترحال ومكارم الأخلاق؛ وإذا كان ما صنع لمساهمة سيدي عباس الجراري أطال الله عمره في ميادين الفكر والعلم والعمل الدؤوب فرادتها ونوعيتها ما انطوت عليه ثقافته وذكاؤه من موسوعة وثناء عزت لها النظائر

-مغربيا وعالميا- فإن ما صنع لها قراراتها وصدقها التزام العالم الجليل قضايا الوطن والأمة، فغدا صاحب مشروع بأتم معنى الكلمة، وهو من شجرة طيبة، شجرة العلم والفكر، أصلها ثابت وفروعها في السماء جنت منه البشرية أكثر من 50 تأليفاً، ووالدي أطال الله في عمره، الدكتور ادريس عزوزي وهو من علماء القرويين، كان دائماً يشيد بوالده المرحوم عبد الله الجراري وابنه عباس في البيت وأنا صغير السن إلى أن تقوت علاقتي بسيدي عباس وبعائلته علاقة الإبن تجاه والده الروحي. فهو حبيب الجميع فذ عاشق لتراث أمتنا، مثابر على إحياء هذا التراث والمحافظة عليه بكل الإخلاص والتفاني.

زارني هو وزوجته الأستاذة حميدة الصايغ في بيتي في فاس بمعية زوجتي الدكتورة أسماء العلوي وولدينا عثمان وجنة حفظهما الله وحفظ الله كل أبناء المسلمين، وهذا تواضع من العلماء الكبار.. وقضينا معهم أياما هي أفضل أيام العمر نتحدث عن المذاهب والشعر والتاريخ والأدب والفقه والتفسير، فرأيته كما هو ذلك الجوهري الذي يزن الدر بالقيراط في سبيل صوغ حلّى عربية عالمية تزين جيد الزمان، وبعد عودتهما إلى الرباط جاد علي سيدي عباس بهاته القصيدة⁽¹⁾:

فاس لعمرى على البلدان تزدان في طيها كل ما يشي وسلوان

ثم اطلع على الأبيات شاعر عربي متمكن، أشرف بزمالته وأخوته، من أصول فلسطينية الأستاذ خليل عيلبوني⁽²⁾، عاش حياته بين دوله الإمارات العربية المتحدة والمغرب، وأعطاه الله عروبة صادقة، وهو أمير من أمراء منابر الشعر، يقيم للإبداع قلعة وللموهبة عرشا ويضع فوق هامة الشعر تاجا، والصولجان في يده يراع

(1) وهي القصيدة التي أوردناها سابقا، وقد أعاد د.عبد الحق عزوزي نشرها كاملة ضمن مقالته.

(2) إعلامي وكاتب وشاعر.

من خشب الأرز العربي الأصيل، هذا الرجل أحب المغرب كثيرا وأحب مدينة فاس بالخصوص.

ولفاس التي ترعرعت فيها، أول عاصمة للمملكة، دور كبير في تأسيس الدولة المغربية والمواطن المغربي الذي عرف بانفتاحه وقبوله بالآخر أياً كانت ديانته. وكان من آثار توسيع فاس، ظهور حركة علمية، انطلاقا من جامع القرويين الذي أسسته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري المكناة أم البنين، عام خمسة وأربعين ومائتين للهجرة (859م) في عهد يحيى حفيد إدريس الثاني، ثم جامع الأندلس الذي أنشأته بعد ذلك أختها السيدة مريم، وكانتا قد وفدتا ضمن الأسر التي قدمت من القيروان إلى فاس في ذلك العهد.

ويمكن القول إن المدينة أصبحت بفضل هذين الجامعين - لا سيما القرويين - عاصمة علمية تضاهي قرطبة في الأندلس، ومركزا دينيا للفقهاء المالكي الذي اختاره المغاربة واستقروا عليه - إلى جانب العقيدة الأشعرية - ابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري، حتى غدا من أبرز ظواهرهم الفكرية، إن لم يكن أبرزها على الإطلاق.

واكتسبت مدينة فاس مركزية لا توصف، ليس بالنسبة للمغرب فحسب، ولكن للعالم الإسلامي كله، إذ غدت قبلة الفقهاء الوافدين إليها بأفواج كبيرة من كل حذب وصوب، لاسيما من القيروان والأندلس وأواخر القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث، على نحو ما يحكي التاريخ عن وفود القيروانيين والأندلسيين الذين كانوا في معظمهم من الفقهاء المالكيين، ووفود اليهود الذين اضطهدوا في الأندلس، والرحالة والطلبة والعلماء من كل الديانات على نحو ما يُذكر عن قدوم جريبير (Gerbert d'Aurillac) الذي هو البابا سلفستر الثاني، إذ يقال إنه زار فاس بعد منتصف القرن العاشر الميلادي، وأخذ الحساب عن علماء القرويين،

وإنه هو أول من أدخل الأرقام العربية إلى أوروبا. ولم يكن غريباً في سياق هذا التطور المتنامي، أن تحتضن فاس جموع الوافدين إليها من مختلف الجهات، وان تصهرهم في بوتقتها، وتدمجهم في مجتمعا المتحرك الجذاب، القابل لمثل هذا التفاعل الذي التقى فيه الأمازيغ بالعرب الوافدين من الأندلس والمشرق، وكذا بالأفارقة القادمين إليها من جنوب الصحراء، واليهود الذين أتوا من مناطق النزاع ووجدوا في المواطن المغربي قمة في التسامح وتجسيدا لروح الدين الوسطي المعتدل....

فجادت قريحته -يقصد الشاعر الفلسطيني عيلبوني - بأبيات بنفس القافية يقول فيها:

قَرَأْتُ بِالْحَبِّ مَا قَدْ خَطَّ فَنَاءُ	لَهُ عَلَى الشَّعْرِ أَحْكَامٌ وَسُلْطَانُ
إِنَّ الْجِرَارِيَّ عَبَّاساً إِذَا أَنْطَلَقَتْ	خَيُْولُ أَحْرَفِهِ لَمْ يَبْقَ فُزْسَانُ
أَتَى إِلَى فَاسٍ مُشْتَقاً بِهِ طَرْبٌ	وَكَمْ تَعْنَى بِفَاسٍ أَحْبَبَ عُرْبَانُ
وَكَانَ بَيْنِي لِعَبْدِ الْحَقِّ مُنْتَظِراً	تَرْنُو لِرِزَائِرِهِ بِالْحَبِّ جُدْرَانُ
وَكَمْ تَرَقَّبَ عَبْدُ الْحَقِّ زَائِرُهُ	كَمَا تَرَقَّبَ عَذْبُ الْمَاءِ ظِمَّانُ
حَتَّى أَطَّلَ كَشْمَسِ الصُّبْحِ فَأَبْتَهَجَتْ	قُلُوبٌ مَنْ هُمْ لِدَاكَ أَلْبَيْتِ سُكَّانُ
« أَسْمَاءُ » قَامَتْ وَبَشْرُ الْوَجْهِ يَسْبِقُهَا	تَقُولُ: يَا مَرْحَباً وَالْقَلْبُ فَوْحَانُ
وَرَحَّبَتْ « جَنَّةُ » بِالزَّائِرِينَ وَمَا	أَخْفَى الْخَفَاوَةَ وَالْتَرَجِيْبَ «عُثْمَانُ»

عَبَّاسُ أَهْلًا بِكُمْ مَعَكُمْ حَمِيدُكُمْ
وَفَاسٌ تَزْهُو بِكُمْ تَضْبُو لِرُؤُوسِكُمْ
وَكَمْ نَظَّمْتَ لَهَا شِعْرًا يُخَلِّدُهَا
فَأَنْتَ لِلْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ مُعْتَمِدٌ
أَعْطَيْتَهُ الْعُمَرَ لَمْ تَبْخُلْ عَلَيْهِ بِمَا
يَا وَجْهَ شَعْبٍ عَرَبِيٍّ فِي أَصَالَتِهِ
أَنَا وَبِجُلُكِ «عَبْدُ الْحَقِّ» نُغَلِّمُهَا
تَقُولُ: أَهْلًا وَسَهْلًا دَائِمًا أَبَدًا
لَكُمْ عَلَى فَاسٍ فَضْلٌ لَيْسَ يُنْكَرُهُ
هَدْيِ زِيَارَتِكُمْ بَرٌّ وَإِحْسَانُ
فِيهَا لَكُمْ سَيِّدِي أَهْلٌ وَخَلَاءُ
وَإِنِّي مِنْ حَمِيَّةِ الشَّعْرِ نَشْوَاتُ
سَفِيرِ حُبِّ لَهْ بَيْنَ الْوَرَى شَانُ
أَعْطَاكَ مِنْ نِعَمِ الْإِبْدَاعِ رَحْمَانُ
بِهِ يُطْلُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِنْسَانُ
إِنْ جَازِي فِي الْحُبِّ إِشْهَارٌ وَإِعْلَانُ
فِي كُلِّ دَرْبٍ لَكُمْ وَرْدٌ وَرِيحَانُ
شَعْبٌ وَفِي وَمَا لِلْفَضْلِ نِسِيَانُ

مع الشاعر البحريني
عبد الرحمان رفيع

عبد الرحمان رفيع شاعر بحريني من مواليد المنامة عام 1936 وتوفي سنة 2015. من أشهر الأسماء الشعرية في الخليج. أصدر تسع مجموعات شعرية، منها: «أغاني البحار الأربعة»، و«لها ضحك الورد»، و«ديوان الشعر الشعبي». كانت له مساجلات عديدة مع الشاعر السعودي غازي القصيبي (ت 2010). ومرة تحداه رفيع أن يأتيه بقصيدة من الأدب العربي بثناء مفتوحة. وبحث القصيبي دون أن يجد ما طلبه صديقه البحريني. فما كان من عبد الرحمان رفيع إلا أن أخرج له قصيدة من نظمه، تجيب عن المطلوب، وهي قصيدة بعنوان «حفلة رقص»، نظمها في مدينة الرباط بالمملكة المغربية؛ قال:

حفلة رقص⁽¹⁾

أحوراً ما أراه أم بناتاً	فأم أر مثل حُسْنِهِمْ بَنَاتَا
إذا قاموا لِمَشْيٍ أَوْ لِرُقْصٍ	تَفَتَّتْ مِنْهُمْ قَلْبِي فُتَاتَا
وَبَاتَ اللَّيْلَ يَشْكُو مِنْ هَوَاهُمْ	وَلَمْ يَلُكْ قَبْلَ ذَلِكَ قَطُّ بَاتَا
لَقَدْ ذَبَحُوا فُؤَادِي ذُبْحَ شَاةٍ	فَرَفُقَا بِي فَقَلْبِي لَيْسَ شَاتَا
رَأَيْتُهُمْ فَنَحْتُ عَلَى شَبَابِي	وَسَيَفِي فِي قَدْ عَشِقَ السُّبَاتَا

(1) قالها صاحبها في الرباط يوم 8/ 8/ 1993، والخط الذي رسم تحت بعض الضمائر، من وضع الشاعر عباس الجراري في الأصل المخطوط.

لَقَدْ نَشَفْتُ أَنْيَابِي تَمَاماً
فَقُلْتُ مِنَ التَّحَسُّرِ لَيْتَ شِعْرِي
أُطَالِعُهُمْ فَأَدْعُوهُمْ بِكَيْفِي
وَأُجْلِسُهُمْ عَلَى حِضْنِي قَلِيلاً
أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْماً
فَعَزُونِي عَلَى مَنْ قَدْ تَوَفَّى
فَلَا نَيْلاً شَرِبْتُ وَلَا فُرَاتَا
لَقَدْ ذَهَبَ الزَّمَانُ بِنَا وَفَاتَا
كَمَا يَدْعُو الْكِبَارُ الطِّفْلَ تَاتَا
وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدِي شَيْكُولَاتَا
وَلَكِنَّ الشَّبَابَ أَلْيَوْمَ مَاتَا
فَقَدْ شَبِعَ الَّذِي عِنْدِي وَفَاتَا

وصلت هذه القصيدة إلى الأستاذ عباس الجراري عن طريق «الواطصاب whatsapp» ثم اطلع واستمع إليها في الموقع الإلكتروني للشاعر، فجاء جواب الشاعر الجراري في مستويين: الأول تمثل فيما ساقه من نماذج شعرية ما جاء على قافية التاء المفتوحة، ضمنها نموذج للشاعر المغربي أحمد بن المامون البلغيثي؛ مع توثيق مصادرها.

والثاني تمثل في قصيدة جرارية نظمت على روي التاء المفتوحة، ردّاً على قصيدة عبد الرحمان رفيع « حفلة رقص ». ونورد هنا، في البداية، النماذج الشعرية التي ساقها الشاعر الجراري، تتبعها بقصيدته الجوابية.

النموذج الأول من قصيدة طويلة للشريف المرتضى يعزي مجد الدين في موت أبيه ويرثيه، أولها:

أَجْرِ الْمَدَامِمْ كَيْفَ شَيْتَا فَلَقَدْ دُهِيتُ بِمَا دُهِيتَا⁽¹⁾

النموذج الثاني من قصيدة الحسن بن هاني في الفضل الرقاشي، قال:

رَأَيْتُ الرَّقَاشِيَّ فِي مَوْضِعٍ وَكَانَ إِلَيَّ بَغِيضاً مَقِيَّتَا
فَقَالَ أَقْتَرِحُ بَعْضَ مَا تَشْتَمِي فَعَلْتُ أَقْتَرِحُ عَلَيْكَ السُّكُوتَا⁽²⁾

(1) الديوان، ق1، ت، رشيد الصفار، صص 276-279. [الشاعر].

(2) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج 2، تحقيق سعيد العريان، ص، 136. [الشاعر].

النموذج الثالث، من شعر المتنبي في صباه، عند وداعه بعض الأمراء، قال:

أَنْصُرُ بِجُودِكَ أَلْفَاظاً تَرَكْتُ بِهَا فِي السَّرِقِ وَالْعَزْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحِلِي وَذَا أَلْوَدَاعِ فُكْرٌ أَهْلًا لِمَا شِيتَا⁽¹⁾

النموذج الرابع، بيت شعري قديم بهذه القافية يقول:

إِرْجِعْ إِلَى الْقَصْدِ إِذَا غَلَوْتَ يَصْرَعُكَ الدَّهْرُ وَإِنْ غَلَوْتَ

النموذج الخامس الذي ساقه عباس الجراري، اختاره من شعر الشاعر المغربي أحمد بن المامون البلغيثي⁽²⁾. قال الشاعر الجراري:

ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَامُونِ الْبَلْغِيثِيَّ أَنْ بَعْضَ أَدْبَاءِ طَرَابُلُسِ الشَّامِ قَدِمَ لَهُ مَحَاجَاةٌ،

وهي:

(1) شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمان البرقوقي، ج 1، ص، 153. [الشاعر].

(2) شاعر مغربي، عاش ما بين 1865-1929. دُرِّسَ في جامع القرويين، ثم تولى القضاء في عدة مدن مغربية. له ديوان بعنوان « تبسم ثغور الأشعار بتنسم عبير الأفكار ». أنجز الدكتور امحمد العلمي رحمه الله، دراسة حول هذا الشاعر وإنتاجه الشعري، مع تحقيق الجزء الأول من ديوانه، والدراسة في الأصل رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا، تحت إشراف الدكتور عباس الجراري، نوقشت بكلية الآداب بفاس سنة 1982. وصدر القسم الأول منها ضمن منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس سنة 2006، تحت عنوان « أبو العباس أحمد بن المامون البلغيثي (1282هـ-1865م/1348هـ-1929م) من رواد الشعر المغربي الحديث ».

حَاجَيْتُ مَنْ أَحْبَبْتُهُ وَالْقَلْبُ مَيِّمِي أَفْلَتَا
وَسَأَلْتُهُ إِرْجَاعَهُ فَأَجَابَنِي: أَنْظُرْ أَتَى⁽¹⁾

فأجابه البلغيثي:

يَا مَنْ مَرَامُهُ فِي رَجَا وَالْقَلْبُ لِي قَدْ أَتَيْتَا
لَمَّا وَفَى إِرْجَاعَهُ قَدْ صَحَّ فِيهِ أَنْظُرْ أَتَى
لَا زِلْتِ تَبْلُغُ كُلَّ مَا تَرْجُوهُ يَا نَعْمَ أَلْفَتَى

(1) يقصد فعل أمر رأى وهو (ر)، وأتى بمعنى جاء بحذف الهمزة، ويشكلان كلمة (رجا). [الشاعر].

أما المستوى الثاني لجواب الشاعر عباس الجراري فتجلى في قصيدته التي كتبها على روي التاء المفتوحة جواباً على قصيدة الشاعر البحريني « حفلة رقص ».

قال الجراري⁽¹⁾:

تَمَهَّلْ يَا رَفِيعُ، أَرْجُ النَّبَاتَا فَلَيْسَ الْغُمُضُ فِي عَيْنِ مَمَاتَا
تَصَبَّرْ لَا تَكُنْ عَجْلاً يَبْأَسِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ يُخَيِّبُ الْمَوَاتَا
وَيَبْعَثُ فِي الْجَمَادِ الرُّوحَ حَتَّى كَأَنَّ الْبِيدَ قَدْ تَعْدُو فُرَاتَا
فَإِمَّ هَذَا التَّفَقُّتُ يَا صَدِيقِي وَقَلْبُكَ لَيْسَ يَقْبَلُ ذَا الْفُتَاتَا ؟
وَمَنْ يَرْضَى يَكُونُ ذَبِيحَ عَشِقِ كَمَا لَوْ أَنَّهُ قَدْ صَارَ شَاةَ ؟
دَعِ الشَّكْوَى لِلَّيْلِ أَوْ بِهِمِ وَفَمُّ تُخَيِّبِ الَّذِي فِي الظَّرْبِ فَاتَا
وَلَا تَجْلِسْ عَلَى حَرْفٍ وَحِضْنِ كَمَا قَدْ قُلْتِ، بَلْ صُمَّ الْفَتَاةُ
إِلَى صَدْرٍ بِحُجِّ وَأَشْتِيَاقِ وَقَلْبِهَا وَقَلْبِهَا ذَوَاتَا
وَعَاوِذِ كَيْفَ رُمْتَ وَكُنْ رَفِيقاً وَخُذْ مَا شِئْتِ وَالْتَرِمِ الْأَنَاءُ
فَإِنَّ الْبِكْرَ تَعْشِقُ كُلَّ لَدِّ وَلَيْسَ بِحُفْلِ رَفْصٍ بَلْ بَيَاتَا
بِهِ تَهْنَأُ وَتَسْعَدُ دُونَ رَيْبِ وَتَرْجُو رَعِشَةً تَطْوِي الشَّتَاتَا
فَلَا تَدْهَشْ وَحُضِّ الْجُ الْغَوَانِي وَكُنْ جَلِداً كَمَنْ كَانُوا دُهَاتَا

(1) كتبها صباح السبت 2 ذي الحجة 1435 هـ _ 27 ستمبر 2014 م.

وَحَلَّ الْمَوْتَ جَنْباً مِنْ حَدِيثٍ وَلَا تُعْلِبُ عَزَاءً أَوْ وَفَاءً
مَخَافَةَ مَا بَدَا لَكَ مِنْ مَشِيئٍ فَهَوِّ لِمِثْلِ سِتِّكَ قَدْ يُوَاتِي
فَإِنَّ الشَّيْبَ لِلشُّبَّانِ بَدءٌ وَمَا كَانِ الْحِتَامُ بِهِ حُتَاتَا
وَلَا تَجْزَعُ إِذَا نَشَفَتْ عُيُوبٌ سِيُولُ النَّهْرِ تَغْقُبُهَا عَزَاةُ
وَإِنَّ جَفَّتْ أَنْسَابِيهِ بِنَبْعٍ فَرَشْفُ شَفَائِفِ تَمْحُو أَلْفَوَاتِ
يُعِيدُ إِلَى الصَّبَا عَهْداً تَوَلَّى وَيُنْغِصُ - إِنْ عَزَمْتَ - لَكَ الْقَنَاءَ

مع الشاعر
علي الصقلي

أبي أمير الشعراء علي الصقلي إلا أن يقتسم الإمارة مع عباس الجباري،
فكتب هذه القصيدة معلناً عميد الأدب العربي أميراً للبيان، فقال⁽¹⁾:

أَمِيرَ الْبَيَانِ بِأَعْلَى سَرِيرِ
تَصَوُّغِ الزَّوَاهِي وَلَوْ مِنْ حَدِيدِ
وَإِنْ صَاعَ نَفْحِ عَمِيرِ بَيَاناً
فَهَذَا نَظِيمٌ بِأَعْلَى الدُّرَى
وَهَذَا يَرَاغُكَ يَقْطُرُ شُهْداً
إِذَا مَسَّ قَلْباً فَنَارَ الْهَوَى
وَهَذَا خَيَالُكَ رَهَى السَّمَاءِ
يَشِي بِكَ رَبَّ الْقَوَافِي الْعِرَازِ
وَيَحْتَرِّقُ الشُّحْبَ مَا إِنْ تَعَالَتْ
وَكَمْ مِنْ خِيَالٍ كَبَخِرَ بِهِ
وَكَمْ هَالٍ مَنْ لَمْ يُطْفِئْهُ، وَهَلْ
أَلَّا لَيْتَ كُلِّ سَمِيعٍ بَصِيرِ
فَجَالَ خِلَالَ بَيَانِكَ سَعِيّاً
وَهَلْ لِلْبَيَانِ سِوَاكَ أَمِيرُ؟
فَيَعْدُو الَّذِي صُغْتَهُ مِنْ حَرِيرِ
فَلَيْسَ سِوَى لَكَ نَفْحِ عَمِيرِ
وَذَلِكَ بِجَنْبِ الدَّرَارِيِّ نَثِيرِ
كَأَنَّ وَحْدَهُ لِلْعَوَانِي مَثِيرِ
بِهِ هَاجَ حَتْمًا، وَلَا مِنْ نَكِيرِ
وَبِأَسْمِكَ فِي كُلِّ أَفْقٍ يَطِيرُ!
أَسِيرًا لَهَا، وَلِنَعْمِ الْأَسِيرِ
بِأَجْنَحَةٍ أَوْلَا وَأَخِيرِ!
تَعُوصُ، وَلَسْتُ أَقُولُ: غَدِيرِ
عَسِيرُكَ، عَبَّاسُ، إِلَّا يَسِيرُ؟
تَدَثَّرَ بُرْدَ سَمِيعٍ بَصِيرِ
لَسْبِرِ الْمَغَارِ، وَكَشْفِ الصَّمِيرِ

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة، مساء يوم السبت 20 صفر 1435 هـ الموافق 2014/12/13.

وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ يُطْعَمُ فَقِيرًا وَمَا هُوَ، إِذْ تَبَلُّهُ بِفَقِيرٍ
وَكَمْ شَاعِرٍ مُدَّعٍ، إِنَّمَا لَدَى الْمَثَلِ مِنْ شُعْرَاءِ شَهِيرٍ

حَبِيبِي عَبَّاسُ، يَا هَرَمًا بِأَعْلَى الْأَعَالِي بَدَا لِلكَثِيرِ
لِمِثْلِكَ أَنْتَ وَمِثْلِي أَنَا وَلَا فَخْرَ، بِالْمَكْرَمَاتِ جَدِيدِ
أَمِيرَاتِ نَحْرِ، وَمَا بَيْنَنَا وَنَحْرُ سَوِيَّاتِ، أَيُّ كَبِيرِ!
وَلَسْتُ أَغْرُ بِهِ لَقْبًا وَمَا إِذْ بِهَ كُنْتَ يَوْمًا غَرِيرِ
وَهَلْ نَسْتَفْزِزُ بِهِ غَيْرَنَا إِذَا كَانَتْ لِلغَيْرِ لَيْسَ يَضِيرُ؟
أَلَيْسَ إِذَا الْحَقُّ حَصَّصَ فِي مُلِمٍّ فَمَا مِثْلُهُ مِنْ ظَهِيرِ؟
وَمَا قِيلَ لِلشَّمْسِ قَطُّ سَنَالِ وَقَدْ غَمَّرَ الْكَوْتُ: لَيْسَ مُنِيرِ
وَمَا إِذْ تَخَرَّصَ قَوْلًا كَذَا سِوَى حَاقِدٍ أَوْ مُرِيْبٍ حَقِيرِ
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ يَبْنَ قَوْمٍ نَصِيرًا فَإِنَّ لَهُ اللَّهَ، جَلَّ نَصِيرِ

تَبَارَكْتَ عَبَّاسُ مِنْ شَاعِرٍ وَمِنْ نَاتِرٍ، بِالْبَيَّاتِ قَرِيرِ
وَدَامَ لَكَ أَسْمُكَ فِي كُلِّ نَادٍ كَأَوْفَى رَسُولٍ وَخَيْرِ سَفِيرِ

علي الصقلي

مع الشاعر
الدكتور مصطفى الطوبي

مُعَلَّقَةُ الْقُدْسِ (1)
تقرير مرفوع إلى عميد الأدب
المغربي الدكتور عباس الجراري

الشَّعْرُ فَاصَّ عَلَى الْوَجْدَانِ مُحْتَشِمًا وَالْبَدْرُ هَلَّ عَلَى الْأَشْرَافِ مُبْتَسِمًا
قَدْ كَانَ لِي وَهَجٌ فِي الْقَوْلِ يُطْرِبُنِي ثُمَّ أَنْزَوَيْتُ فَصَارَ الصَّمْتُ مُقْتَحِمًا
وَصِرْتُ عِبْنًا عَلَى الْأَدَابِ أَعْبُرُهَا أُجْرِبُ الْقَوْلَ أَوْزَانًا وَمُنْعَدِمًا
وَالآنَ، هَا أَنَا جَادَثُ قَرِيحَتِنَا سِحْرًا يُجَارِي هُتُونَ الْمُرْنِ قَدْ نَظَمًا
فَتَقُّ قَرِيضَكَ وَلَيْشْهَدُ لَهُ عَامٌ أَنْ الْغَرِيبَ غَرِيبٌ كَيْفَمَا زَعَمًا (2)
فَأَصَتْ أَمَامَ عَيْوَبِ الشَّعْرِ قَافِيَتِي نَبْعًا يُحَاكِي خَرِيرَ أَلْمَاءِ مُنْسَجِمًا
إِنَّ الْحَبِيبَةَ إِذَا شَطَّثَ مَنَازِلَهَا فِي الْقَلْبِ حَاصِرَةٌ تَسْتَمِضُ أَلْهَمًا
تَسْتَنْجِدُ النَّاسَ أَفْرَادًا وَمُجْتَمَعًا هَذَا فَصِيحٌ وَذَا فِي الْقَوْلِ قَدْ عَجَمًا
فَرَعَاءُ زَيْبِهَا نُورٌ يَكْفِيهَا سَيَقْتُ إِلَيَّ صُلْبُهَا مَسْرُودَةٌ أَلْمًا

-
- (1) كتب الشاعر الطوي هذه القصيدة في مدينة تزنيث، بتاريخ 4 ماي 2010م، ونشرها ضمن ديوانه «مسافات لبلوغ الفجر». والدكتور مصطفى الطوي أستاذ بكلية الآداب، جامعة ابن زهر، أكادير. ونشر الديوان ضمن منشورات جمعية الشيخ ماء العينين للتنمية والثقافة، 2015.
- (2) أضفت هذا البيت إلى القصيدة حينما شعرت أنني أصبحت يوماً إضافة غير مقبولة في قراءة الشعر. [الشاعر].

سَالَ الْقَرِيضُ لَدَى تَشْيِيعِهَا سَحْرًا
خَاطِبُهُ غَاضِبًا: أَخْطَأْتُ نُصْرَتَهَا
قَدْ خَشَّ فِيهَا عَدُوَّ اللَّهِ خَنْجَرَهُ
دَعَا، وَفِي الْجُرْحِ مَا تُرْجَى سَلَامَتُهُ
عَبَّاسُ يَا عُمْدَةَ الْأَدَابِ أَجْمَعِهَا
مَاذَا تَرَى هَذِهِ رُؤْيَايَ أَسْرُدُهَا
إِنِّي رَأَيْتُ مَنَامًا هَالِكِي فَرْقًا
الْقُدْسُ فِي غَفْلَةِ التَّارِيخِ نَائِحَةٌ
وَصَارَ لِلنَّاسِ فِي أَحْوَالِهِمْ غَيْرُ
هَذَا يُشِيدُ فِي الْعُمَرَانِ نَاطِحَةٌ
وَذَا يُعَمِّقُ فِي الْأَنْفَاقِ جَاعِلُهُ
وَأَخْرُوتَ لِأَمْرِيكَ إِذَا غَضِبْتَ
عَبَّاسُ يَا أَيُّهَا الشَّادِي بِصَوْلَتِهِ
مَاذَا أَقُولُ وَهَذَا التَّقْرِيرُ أَنْسُجُهُ
وَلَى الرَّمَاتُ الَّذِي كُنَّا نُبْجَلُهُ
هَذَا يَحُولُ مِنَ الْأَشْعَارِ أَجْرَلَهَا
مَا لِي أَرَاكَ عَلَى تَرْحَالِهَا وَجَمًا؟
ثُمَّ أَنْتَفَضْتَ عَلَى تَهْوِيدِهَا نَدَمًا
وَصَبَّ فِيهَا مِنَ التَّيْرَانِ مَا حُرِمًا
إِنَّ الظَّلَامَ عَلَى الْأَفَاقِ قَدْ جَثَمًا
يَا بَلَسَمَ الْجُرْحِ هَيَّا أَفْتِنَا حِكْمًا
صَوْتًا رَخِيماً كَسِيرِ النَّبْرِ مُنْقَسِمًا
نُحْلًا وَسِدْرًا وَزَيْتُونًا عَدَا جَمًّا
قَدْ صَارَ فِيهَا صَلَاحُ الدِّينِ مُنْهَزِمًا
كُلُّ يَغْتِي عَلَى لَيْلَاهُ مُبْتَسِمًا
كَأَنَّمَا رَأَيْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قَدْ سَلِمًا
عَنِ الْأَسِيرِ سِرَاجِ النُّورِ مُنْعَدِمًا
صَارَ الزَّفِيرُ عَلَى أَخْطَائِهِمْ حَكْمًا
مَاذَا أَقُولُ وَقَدْ أَرَبَكْتَنِي قَسَمًا
رَفْشًا يُجَارِي زُلَالَ الْمَاءِ مُلْتَطَمًا
شِعْرًا وَنَثْرًا لَدَى الطُّلَابِ مُنْتَظَمًا
وَذَا يُصَرِّفُ فِي أَقْوَالِهِ الْحَكْمًا

وَشُعْبَةُ الضَّادِ لِأَدَابِ قَبْلَتِنَا
 وَالآنَ يَا أَسْفِيَّ أَنْعَى لَكُمْ رَمِيَّ
 تَكْحَلُ الخَلْفُ بِالْأَدَابِ كُلِّهِمْ
 تَفَاخَرَ الْقَوْمُ بِالِإِصْلَاحِ أَتَيْهِمْ
 عَفْوًا لَقَدْ تَهْتُّ فِي قَوْلِي بِلَا جُئِمُ
 وَإِنَّمَا حَتَّى مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ
 قَدْ قَالَ فِيكَ شُيُوخُ الْعِلْمِ مَلْحَمَةً
 وَصِيغَ فِيكَ مِنَ الْأَشْعَارِ أَجْوَدُهَا
 فَبَارَكَ اللَّهُ فِيمَا خَصَّهُ بِكُمْ

طَوْدٌ مِنَ الْمَجْدِ أَصْحَى سَهْلُهُ أَكَمَا
 هَذَا الَّذِي صَارَ فِي التَّارِيخِ مُنْعَدِمًا
 شَيْخُ الْبَلَادَةِ أَصْحَى شَاعِرًا هَرَمًا
 جَاءُوا بِسِحْرِ لِدَاءِ الْجُهْلِ مُنْتَقِمًا
 وَصِرْتُ أَلْعَنُ فِي الْأَشْيَاءِ مَا ظَلِمًا
 كَوْنِي أَمَامَكُمْ مُسْتَنْجِدًا عَالِمًا
 فِيكَ الْمَكَارِمُ لَا نَبْغِي بِهَا أَمَّا
 وَنَالَ مِنْكُمْ ذَا التَّارِيخِ مَا عَدِمًا
 وَفَتَّقَ اللَّهُ فِي مَنَوَالِكِ الْهَمَمَا

فأنشأ الشاعر عباس الجراري مقصداً مجيباً، بعد أن مهد بالعبارة التالية:
بعد أن قدم لي الأستاذ الطويبي ديوان (مسافات لبلوغ الفجر) واطلعت
على ميميته التي وجهها لي قلت⁽¹⁾:

الشَّعْرُ فَاصْ بِصِدْقٍ فَلْتَدَعْ سَأْمًا وَهَاجٍ وَجُدْكَ حَقًّا لَيْسَ ذَا حُومًا
أَبْدَعْتَ رَائِعَةً أَحْيَيْتَ مَشَاعِرَنَا وَأَطْرَبْتَ أَنْفُسًا تَأَقَّشَ لِمَا نَعْمًا
وَأَحْرَسَتْ أَلْسِنًا دَعَوَى الْجَدِيدِ لَهَا هَذُمُ الْأَصِيلِ وَمَا يَبْدُو لَهَا سَقَمًا
رَاحَ الظَّلَامُ الَّذِي قَدْ كُنْتَ تَحْسِبُهُ عَلَى الْوَهَادِ بِكُلِّ الْأَفُقِ قَدْ جَثَمًا
أَبْدِعْ كَمَا شِئْتِ لَا تَحْفَلِ بِذِي حَسَدٍ وَلَا يَرِغْكَ الَّذِي بِالْقَلْبِ قَدْ نَقَمًا
مَازَالَ سَيْلُ قَرِيضٍ مِنْكَ يَبْعَثُ مَنْ عَدَوْتَ - ظَنًّا - عَلَى تَرْحَالِهَا وَجَمًا
فَاهِنًا فَأَنْتِ لِصَافِي الشَّعْرِ تَقْرِضُهُ كَالْعَقْدِ لَوْلُوهُ بِالتَّبْرِ قَدْ نُظِمًا
فَالشَّعْرُ عِنْدَكَ أَنْعَامٌ مُرْتَلَةٌ بِهِ سَمَوْتَ وَكُنْتَ النَّجْمَ وَالْعَالَمًا
لَوْ أَسْعَفْتِنِي الْقَوَافِي لَانْطَلَقْتُ بِمَا فِي النَّفْسِ مِنْ فِكْرٍ فَضْحَى وَمَا عَجَمًا
فَلَسْتُ أَمْلِكُ غَيْرَ الشُّكْرِ تَقْبَلُهُ مَعَ وَدِّ حَبِّ وَمَا عَوَّدْتَنِي كَرَمًا

(1) كتب الشاعر هذه المقطوعة الشعرية بالرباط، بتاريخ 16 أبريل 2016.

الفهرس

تقديم: ويسألونك عن المساجلة..... محمد احميدة.....5

المساجلة الطائرة

(مع الدكتور مانع سعيد العتيبة)

يا شاعر الشرق.....عباس الجراري.....40

جاءني قول عجيب.....مانع سعيد العتيبة.....41

* تحية تقدير.....ماء العينين لاراباس.....42

لك شكري.....مانع سعيد العتيبة.....42

لك والله احترامي.....ماء العينين لاراباس.....43

ألا حيّ العتيبة.....عبد الوهاب بن منصور.....44

الشعر لا تعرفه كريمة.....مانع سعيد العتيبة.....45

صدقت القول يا سعيد.....عباس الجراري.....46

هذه الوردة الصغيرة.....مانع سعيد العتيبة.....47

ملحوظة: العناوين التي وضعت أمامها هذه العلامة * هي للشعراء أصحاب تلك القصائد.
أما العُفل منها فهي عناوين من اقتراح معدّ الديوان.

48	بنتي أميرة	عباس الجراري
49	أكرمت أعلاما	ماء العينين لاراباس
50	فاح الأريج	عباس الجراري
55	سألت القوافي	مصطفى الشليح
57	مهلاً أيا مصطفى	عباس الجراري
60	* أكرم بزهرة آس	مصطفى الشليح
62	* ويبقى الآس	عباس الجراري
67	عمّ صباحا	عباس الجراري
68	يا نسل الكرام	عبد العزيز التويجري
69	برج العرب	عباس الجراري
71	إيه يا صاح	عبد العزيز التويجري
75	شربنا كؤوس الشاي	عبد الله التمين
76	هو الشاي	عباس الجراري
77	دبئي بهم مادّت	عبد الحكيم الأنيس
78	المكثّر هو الأحلى	عباس الجراري
81	العالم عوفي	علي الصقلي

(المساجلة الأنجولاسية)

- 86.....أقام لنا الزباخ.....عباس الجراري.....
- 88.....زبّاخنا أضحي.....عباس الجراري.....
- 90.....زبّاخنا أضحي اسمه سبّاحا.....عباس الجراري.....
- 91.....أطال أَلْعَمَرْتِي.....عبد العزيز التويجري.....
- 91.....فُديت أخي عبد العزيز.....عباس الجراري.....
- 92.....عصابة طُهر.....عبد العزيز التويجري.....
- 93.....موعد العرقوب.....عباس الجراري.....
- 94.....بادِ رضاك.....مصطفى الزباخ.....
- 97.....مأدبة الكريم.....عبد العزيز التويجري.....
- 98.....أمير القافية.....عباس الجراري.....
- 103.....* فرح بالنيابة.....عباس الجراري.....
- 105.....* تباطؤ أبي نزار.....عباس الجراري.....
- 106.....* الولد ينقد أباه.....عباس الجراري.....
- 108.....* طنجية الشاون.....عبد العزيز التويجري.....
- 109.....طُوي الملف.....عباس الجراري.....
- 111.....* لقاء عزيز.....مصطفى الزباخ.....
- 112.....دَيْنٌ آخر في جِرابكم.....عبد العزيز التويجري.....

- 113.....مصطفى الزباخ.....*شفشاون الهوى
- 116.....عباس الجراري.....وجه التويجري
- 119.....عبد العزيز التويجري.....تلك لحيّة
- 121.....عبد العزيز التويجري.....*العقيقة
- 123.....عباس الجراري.....صدّقت أيا عبد العزيز
- 125.....مصطفى الزباخ.....*عتاب الأحبة عطاء
- 127.....عبد العزيز التويجري.....*ليالي الأنس
- 128.....عباس الجراري.....طُوي القُرطاس
- 131.....عبد العزيز التويجري.....*شروط الرّضى
- 135.....عبد الولي الشميري.....العيد أنت
- 135.....عباس الجراري.....كلّ الزّمان بشعر جيّ
- 136.....عبد الولي الشميري.....بيوم العيد
- 136.....عباس الجراري.....وأبى ما يكون العيد
- 139.....أحمد السوسي التناي.....أنيتُ بشوق
- 140.....عباس الجراري.....حيّوا التنايا
- 143.....عبد الولي الشميري.....نهارك أوقاته زاهرة
- 143.....عباس الجراري.....عباراتي الشاكرة
- 144.....عبد الولي الشميري.....العيد أشرق
- 144.....عباس الجراري.....أنت العيد

147	أغرقتني	علي الصقلي
149	* أمير الشعر	عباس الجراري
151	* أسر الخواطر	علي الصقلي
153	وسألتني	عباس الجراري
154	من ذا كئلي	علي الصقلي
157	* هدية السُرور	أحمد السوسي الثاني
159	هدية اللوزة	عباس الجراري
163	حان وقت الرحيل	عبد الحميد الهرامة
164	أخ المودة	عباس الجراري
167	* أمير الشعراء	عباس الجراري
170	أنت شاهدها بالشعر	عباس الجراري
173	فاس لعمري	عباس الجراري
178	قرأت بالحبّ	خليل عيلبوني
183	* حفلة رقص	عبد الرحمان رفيع
188	تمهّل يا رفيع	عباس الجراري
193	أمير البيان	علي الصقلي
197	معلقة القدس	مصطفى الطوبي
200	الشعر فاض بصديق	عباس الجراري
